اليمن بين الانضمام والضم العسكري إلى الدولة العثمانية
(٩٢٣_١٠٤٥هـ / ١٥١٧_١٦٣٥م)

د: طلال حمود عبده بن عبده المخلافي
أستاذ تاريخ الدولة العثمانية واليمن الحديث
المساعد بقسم التاريخ
كلية الآداب، جامعة تعز، اليمن.

ملخص البحث:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأسلوب أو الشكل الذي ارتبطت به اليمن بالدولة العثمانية منذ نجاح العثمانيين بزعامة السلطان سليم الأول في السيطرة على مصر والقضاء على الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، لما لذلك من أهمية في تحديد طبيعة ونوعية العلاقة التي نشأت بين الدولتين بعد ذلك، ويميز البحث بين أسلوبين اجتمعا في حالة اليمن وشكلا ثنائية تكاد تكون فريدة ونادرة بين البلدان العربية التي ارتبطت بالدولة العثمانية منذ سيطرتها على مصر، الأول أسلوب الانضمام السلمي غير المباشر عبر اعترف المماليك الذين كانوا في اليمن بالسيادة العثمانية سنة٩٢٣هـ/١٥١٧م، والثاني أسلوب الضم العسكري المباشر الذي بدأ تجريبه في المرحلة الأولى على السواحل اليمنية عن طريق حملة حسين الرومي سنة٩٢٦هـ/١٥٢٠م وحملة سلمان ريس وخير الدين حمزة سنة٩٣٢هـ/١٥٢٦م لكن دون جدوى، ثم تم تطبيقه بنجاح في المرحلة الثانية من خلال حملة سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م على السواحل اليمنية التي تم اتخاذها قاعدة لتوسيع ذلك الضم إلى جل المناطق الداخلية، واستمر ذلك حتى خروج العثمانيين من اليمن وانتهاء عهدهم الأول فيها سنة١٠٤٥هـ/١٦٣٥م.

كما يهدف البحث إلى التركيز على استقصاء ومعرفة الأسباب الحقيقية والجوهرية التي دفعت الدولة العثمانية لاستخدام هذين الأسلوبين كشكل محدد لنوعية وطريقة ارتباط اليمن بها.

وقد حاول الباحث – بما توافر له من مادة علمية وثائقية ومصدرية ومرجعية – تتبع وضعية اليمن ضمن ثنائية أسلوبي الانضمام والضم إلى الدولة العثمانية طوال عهدها الأول باليمن من خلال ثلاثة محاور، خصص أولها للحديث عن أوضاع اليمن السياسية قبيل انضمامها إلى لدولة العثمانية، وتم فيه تسليط الضوء على قدوم المماليك إلى اليمن وحربهم مع البرتغاليين، وكذا الصراع الذي نشب بين المماليك والقوى اليمنية الرئيسة آنذاك ممثلة بالطاهريين

والأئمة الزيدية من آل شرف الدين، وعني المحور الثاني بالحديث عن انضمام اليمن إلى الدولة العثمانية والكشف عن الأسباب الحقيقية لذلك وتم تصنيفها إلى داخلية وأخرى خارجية، بينما تناول المحور الثالث ضم العثمانيين لليمن والمراحل التي استغرقها ذلك الضم والأساليب التي استخدمت لتطبيقه، مع التركيز على الأسباب الرئيسة التي دفعت العثمانيين لضم اليمن إلى دولتهم والتي تم تصنيفها - أيضاً - إلى داخلية وخارجية.

واختتم البحث بالتأكيد على مساهمة أوضاع اليمن السياسية في قدوم المماليك وإعلانهم الانضمام إلى الدولة العثمانية بطريقة سلمية غير مباشرة استمرت ٣ سنوات، اضطر العثمانيون بعده استخدام أسلوب جديد وهو أسلوب الضم العسكري المباشر لليمن الذي استمر ما يقارب القرن من الزمن، توحدت اليمن خلاله في إيالة واحدة وتخلصت من الانقسام وخطر البرتغاليين وتمكن العثمانيون من حماية حدود دولتهم الجنوبية خاصة الأماكن المقدسة في الحجاز، وأكد البحث أن السلبيات التي رافقت تطبيق أسلوب الضم كانت تصرفات فردية ولم تكن تمثل نهجاً رسمياً للدولة العثمانية ، وأن المقاومة التي تزعمها أئمة الزيدية آنذاك لم تكن بسبب تلك السلبيات الفردية بقدر ما كانت سياسية في المقام الأول.

تمهيد:-

بعد أن تمكن العثمانيون بزعامة السلطان سليم الأول من القضاء على الدولة المملوكية والسيطرة على مصر وضمها إلى الدولة العثمانية سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، سارع شريف مكة بركات الثاني بإعلان انضمام الحجاز للدولة العثمانية طواعية وتبعه في ذلك الأمير المملوكي اسكندر المخضرم حين أعلن في الجامع الكبير بصنعاء خضوعه لسيادة العثمانيين وانضمام اليمن للدولة العثمانية التي أصبحت أمراً واقعاً لا مناص من الاعتراف بها والتقرب منها، خاصةً مع صعوبة موقف المماليك في اليمن وتعدد الضغوط والإكراهات عليهم سواءً من داخل اليمن أو من خارجها. وبدوره تعامل السلطان العثماني سليم الأول مع الموقف المملوكي بإيجابية وكأمر واقع - أيضاً - في ظروف استثنائية تعيشها الدولة العثمانية حينها فرحب بذلك وأمر بتثبيت الأمير المملوكي في حكم اليمن- أو بالأصح الأجزاء الخاضعة منها للمماليك آنذاك - باسم العثمانيين في بداية الأمر.

وبعد مضي ثلاث سنوات فقط من إعلان المماليك انضمام اليمن إلى الدولة العثمانية، ارتأى العثمانيون ضرورة ضم اليمن وإخضاعها لنفوذهم الفعلي والمباشر، ولتحقيق هذا الغرض قاموا بتجهيز وإرسال عدد من الحملات العسكرية إلى اليمن ابتداءً من سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، ورغم فشل بعض الحملات العثمانية في تحقيق أهدافها وكذا المقاومة والصعوبات التي لاقتها في اليمن، فقد نجحت الحملات بمجموعها في نهاية المطاف - بشكل أو بآخر - من ضم اليمن إلى

الدولة العثمانية وإخضاعها لسيطرتها بصورة فعلية ومباشرة حتى انتهاء عهد العثمانيين الأول في اليمن سنة١٠٤٥هـ/١٦٣٥م.

فما هي الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في اليمن قبيل انضمامها إلى الدولة العثمانية؟ ومتى وكيف تم إعلان ذلك الانضمام؟ وما الأسباب الحقيقة التي حدت بالمماليك لإعلانه؟ ثم متى وكيف بدأ ضم اليمن إلى الدولة العثمانية؟ وما هي المراحل التي استغرقها العثمانيون لتطبيق هذا الأسلوب؟ وما الأسباب الجوهرية التي دفعتهم للقيام بذلك؟

وسوف نجيب على هذه التساؤلات ونتناول البحث من خلال ثلاثة محاور رئيسة كما يأتي:

أ- أوضاع اليمن السياسية قبيل الانضمام إلى الدولة العثمانية

اتسمت الأوضاع السياسية في اليمن قبيل إعلان انضمامها إلى الدولة العثمانية بالاضطراب وعدم الاستقرار، فضلاً عن التجاذب والصراع الحاد بين القوى الأجنبية الخارجية التي حاولت السيطرة على اليمن من جهة وبين القوى المحلية الداخلية المتنافسة على السلطة من جهةٍ ثانية؛ فقد قدمت إلى اليمن قوتان أجنبيتان إحداهما مسيحية تتمثل بالبرتغاليين الذين تزايد خطرهم على السواحل اليمنية والأخرى إسلامية تتمثل بالمماليك الذين قدموا إلى اليمن في إطار محاربتهم للبرتغاليين ثم بقوا هناك ودخلوا في صراع مع القوى اليمنية الرئيسة آنذاك، وهي القوة الطاهرية(السنية) المتمركزة في الجنوب والممتدة إلى الغرب والوسط وبعض أجزاء الشمال، وقوة الأئمة الزيدية(الشيعية) من آل شرف الدين في الشمال وشمال الشمال، وسوف نتناول تلك الأوضاع بشكل مركز بغرض مساعدة القارئ على فهم الظرفية التاريخية التي تم فيها انضمام اليمن للدولة العثمانية.

١-١ وصول المماليك إلى اليمن والحرب مع البرتغاليين

بعد أن تمكن البرتغاليون سنة٩٠٤هـ/١٤٨٩م من اكتشاف الطريق البحري المباشر إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح[١]، شرعوا في التحكم بتجارة الشرق وتحويل خط سيرها مع أوروبا

[١] هذه التسمية أطلقها يوحنا الثاني ملك البرتغال بدلاً عن رأس العواصف؛ وذلك على سبيل التفاؤل بتحقيق حلمه في اكتشاف الهند الذي تم على يد البحار البرتغالي فاسكو دا جاما، ويبقى الدليل البحري الذي ساعده في هذا الاكتشاف مثار خلاف بين عدد من المؤرخين، ففي حين تذكر المصادر البرتغالية أنه شخص هندي من كوجرات يدعى ماليموكانا، يشير النهروالي إلى البحار العربي أحمد بن ماجد. عن هذا الموضوع انظر: النهروالي: ١٩٨٦م، ص.١٨، ١٩؛ المعبري: ١٩٨٧م ص.٧٧؛ بوشرب: ١٩٩٧م، ص.١٧٤، ١٧٥؛ شهاب: ١٩٨٨م، ص.٤٣_٥٠؛ التازي: ١٩٩٧م: ٢٠٠٥م ص.١٠_٣٠ حنظل: ١٩٩٧م، ص.١١٧_١٢٤؛ كاظم: ١٩٨٧م، ص.١٢١_١٢٩.

من الطريق المعتاد عبر البحر الأحمر إلى الطريق الجديد الذي يسيطرون عليه[٢]، الأمر الذي أثر سلباً على الأوضاع الاقتصادية والسياسية للبلدان العربية والإسلامية وفي مقدمتها مصر واليمن[٣].

ولما كانت الدولة المملوكية المسيطرة على مصر هي القوة الإسلامية الكبيرة والبارزة في المنطقة حينها، فقد وجدت نفسها مضطرة لمحاربة البرتغاليين والتخلص من خطرهم المتزايد على خطوط تجارتهم واقتصادهم، وعلى الأماكن الإسلامية المقدسة[٤]، حيث أرسل السلطان المملوكي قانصوه الغوري[٥] حملة بحرية بقيادة حسين الكردي في جمادي الآخرة٩١١هـ/نوفمبر ١٥٠٥م لمقاتلة البرتغاليين في الهند، وكانت هذه الحملة مكونة من ١٣ سفينة مزودة بالمدافع[٦]، فمرت بالسواحل اليمنية المطلة على البحر الأحمر حتى وصلت إلى عدن وحصلت من حاكمها الأمير مرجان الظافري[٧] على مساعدة من الطعام والمؤن، ثم واصلت الحملة سيرها إلى الهند وحققت

---

[٢] كانت عدن وسقطرة وباب المندب منافذ تحكم بطريق البحر الأحمر ومصر، وهو ما يشير إلى الأهمية الإستراتيجية لموقع اليمن وضرورة السيطرة عليه لمن أراد التحكم بهذا الطريق، بينما كانت **جزيرة هرمز تتحكم بطريق آخر بين** الشرق والغرب عبر الخليج العربي وبلاد الشام. انظر: الحمداني: ١٩٨٧م، ص.٢١٧_٢٣٤؛ الكيالي:١٩٨٧م، ص.١٠٥_١٢٠.

[٣] سالم: ١٩٧١م، ص.٨؛ سالم: ٢٠٠٥م، ص٢٤٩_٢٦٤؛ عبد الكريم: ١٩٧٠م، ص.٢٠_٢٢؛ عبد العال: ١٩٨٠م، ص.٤٩٠_٤٩٣.

[٤] حنظل:١٩٩٧م، ص.٢٢٥؛ أبو غازي: ٢٠٠٣م، ص.١٢٩_١٦٨.

[٥] قانصوه الغوري: هو قانصوه بن عبد الله الجركسي، اشتهر بالغوري نسبةً إلى طبقة الغور التي كانت بمصر، ولد سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، تولى نيابة طرسوس بالشام ٣ مرات، ثم تولى السلطنة في مصر سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ولقب بالملك الأشرف، وقد استمر في السلطة حتى توفي سنة٩٢٢هـ/١٥١٦م. انظر: الغزي: ١٩٤٥م، ص.٢٩٤، ٢٩٥.

[٦] لم تشر المصادر المتوافرة لدينا إلى عدد المدافع ولا إلى الجنود الذين كانوا يتألفون في أغلبهم من المغاربة وأولاد الناس(أبناء المماليك في مصر) والمماليك السلطانية بالإضافة إلى الأحباش والتركمان. انظر: ابن إياس: ١٩٨٤م، ص٨٤؛ سالم، ١٩٩٩م، ص.٧٧.

[٧] مرجان الظافري: هو مرجان بن عبد الله الظافري من أصول حبشية أسلمت في اليمن، عينه عامر بن عبد الوهاب والياً على عدن سنة٨٩٥هـ/١٤٨٩م وظل كذلك حتى توفي فيها سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م، قيل إنه لقب بالظافري نسبةً إلى السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني، بينما عرف عند الكتاب البرتغاليين باسم ميرا مرزان. انظر: بافقيه: ١٩٩٩م، ص١٢٥، ١٢٦؛ بلايفير: ١٩٩٩م، ص٩٧؛ عبد العال: ١٩٨٠م، ص١٠٥(هامش رقم١)؛ موسى: ٢٠٠٦م، ص١٣٣.

انتصارات أولية على البرتغاليين قرب ميناء شيول[٨] سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م[٩]، لكن هذا النصر انقلب إلى هزيمة قاسية أمام البرتغاليين في العام التالي في معركة ديو[١٠] البحرية، مما أسهم في وضع حد للتفوق البحري المملوكي ورسخ أقدام البرتغاليين في المياه الهندية، كما زاد من تصميمهم على احتكار التجارة الشرقية والسيطرة على طرقها.

وقد أدرك البرتغاليون أن ذلك لن يتأتى لهم إلا بالاستيلاء على منافذ ومداخل البحار الواقعة في الطريق البحري الجديد، وفي مقدمة ذلك موقع اليمن الاستراتيجي الهام[١١] الذي بدأ البرتغاليون بمهاجمته – مستغلين انقسام الجبهة اليمنية الداخلية – بتوجيه حملة عسكرية على جزيرة سقطرة[١٢] والسيطرة عليها في ربيع الآخر ٩١٣هـ/أغسطس١٥٠٧م[١٣]، بهدف اتخاذها قاعدة مهمة لحصار البحر الأحمر والتحكم بمدخله وإغلاقه في وجه السفن التجارية العربية المتجهة إلى الهند[١٤]، لكنهم سرعان ما انسحبوا من الجزيرة سنة ٩١٧هـ/١٥١١م وتوجهوا صوب عدن للاستيلاء عليها بعدما تبين لهم أن موقعها يمثل المفتاح والمدخل الحقيقي للبحر الأحمر

---

[٨] شيول: أكبر ميناء في منتصف ساحل الهند الغربي، على ساحل كنكن مابين كجرات ومليبار. انظر: المعبري: ١٩٨٧م، ص.٨٣(هامش رقم٣).

[٩] Kammerer, 1929, p 155..

[١٠] ديو: من أهم موانئ كجرات الهندية آنذاك، استولى عليه البرتغاليون سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م، وبقي في أيديهم حتى استردته الهند المستقلة سنة١٣٨٢هـ/١٩٦٢م. انظر: المعبري: ١٩٨٧م، ص.٨٣(هامش٢).

[١١] البطريق: ١٩٦٩م، ص.١٨، الفسيل: ١٩٩٩م، ص.٥٠.

[١٢] سقَطرَة: أو سقطرى، من أكبر الجزر الواقعة في المحيط الهندي والبحر العربي وعلى مدخل البحر الأحمر، تعد بمثابة حارس طبيعي يراقب ويحمي حركة التجارة الذاهبة من آسيا أو الخليج إلى دول البحر الأحمر وأوروبا عبر باب المندب أو القادمة عبر هذا الباب من الغرب إلى الشرق، تقدر مساحتها بـ٣٦٠٠كم مربع، تتبع مدينة عدن على الرغم من بعدها عنهابحوالي٨٥٠كم.. انظر: الحميري: ٢٠٠٤م، ص.١٣٠_١٥٠؛ باصرة: ٢٠٠٢م، ص.١٥٨، ١٥٩؛ شرف: ٢٠٠١م ص.٦٨؛ البار: ١٩٩٦م، ص.١٢٩

[١٣] السلمان: ٢٠٠٠م، ص.١٤٩.

[١٤] Serjeant: 1983, p.43.

وليس موقع جزيرة سقطرة[١٥]،ولذا جهزوا بقيادة البوكيرك[١٦] حملة عسكرية كبيرة وصلت إلى عدن في ١٦محرم٩١٩هـ/٢٤مارس١٥١٣م وهاجمت مينائها واستولت على بضائع السفن التي كانت راسية فيه[١٧].

وبالرغم من ذلك فإن الحملة لم تتمكن من الاستيلاء على عدن بسبب حصانتها الطبيعية ومقاومة أهلها، الأمر الذي اضطر قائدها إلى الانسحاب صوب باب المندب[١٨] ومنه دخل إلى البحر الحمر كأول برتغالي يدخل هذا البحر، ومر بالموانئ اليمنية حتى وصل إلى جزيرة كمران[١٩] فاستولى عليها في أوائل صفر ٩١٩هـ/أوائل أبريل١٥١٣م؛ نظراً لأهميتها كمحطة بحرية بين عدن وجدة[٢٠] التي كان البوكيرك يطمح في مهاجمتها والوصول إلى الأماكن الإسلامية المقدسة وتدميرها، لكنه فشل في ذلك وعاد إلى جزيرة كمران لمدة ٣ أشهر[٢١] ثم

---

[١٥] داوود؛ بن بريك: ٢٠٠٤م، ص.٢٤٥_٢٧١؛ Angelo :1977, p. 68.

[١٦] البوكيرك: هو الفونسو جونسالو دا البوكيرك، ولد سنة٨٥٧هـ/١٤٥٣م في قرية الهاندرا القريبة من لشبونة بالبرتغال تربى وتلقى تعليمه في قصر الملك أفونسو الخامس، وبعدها أصبح مسئولاً عن الإسطبل الخاص بجياد الملك خوان الثاني ثم أصبح نائباً لملك البرتغال في الهند سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، سيطر البرتغاليون في عهده على ساحل إفريقيا الشرقي وأقاموا أول تحالف مسيحي مع الأحباش لضرب القوى الإسلامية،= = مات على ظهر سفينته قبالة سواحل جوا سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م بعد أن استطاع إرساء ركائز الدولة البرتغالية في الشرق. انظر: بوشرب: ١٩٩٧م، ص.١٨٧؛ قاسم: ٢٠٠١م، ص.٦٧؛ حنظل: ١٩٩٧م، ص.١٦٧_١٧٤؛ الكندري: ١٩٩٥م، ص.٨١_١٠٦؛ موسى: ٢٠٠٦م ص.١١٧_١٤٢.

[١٧] ابن الديبع: ١٩٨٣م، ص.٣٤٥، بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص.٧٦٨.

[١٨] باب المندب: هو مفتاح المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، والمضيق الاستراتيجي المهم فيه، يربط البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندي، ويعد بذلك من أهم وأخطر الممرات والمضايق العالمية؛ حيث يصل بين الشرق والغرب وتسيطر اليمن على حركة الملاحة المارة عبره من خلال جزيرة ميون(بريم)، سمي بالمندب أو (الدموع) لندب وبكاء عائلات البحارة الذين يمرون بسفنهم عبره نظراً للخطورة التي تشكلها الصخور البركانية المتناثرة فيه على السفن وبحارتها. انظر: محمد: ١٩٩٣م، ص.٢١؛ شهاب: ١٩٩٤، ص.٨؛ جرادات: ١٩٨٦م، ص.٢٣.

[١٩] كمران : من أكبر الجزر اليمنية في البحر الأحمر، تبلغ مساحتها ٢٠٤كم مربع، يطلق عليها قمران لأن ظل القمر يظهر في بحرها كأنه قمران وليس قمر واحد، تحتل أهمية إستراتيجية لقربها من باب المندب والممرات الملاحية في جنوب البحر الأحمر. انظر: بورجي:١٩٩٩م، ص.٢٧، ٢٨؛ العمري: ١٩٩٢م، ص.٧٨٩؛ لقمان: ١٩٧٢م، ص.٧؛ الشيخ: ١٩٩٤م، ص.١٩٠.

[٢٠] ابن الديبع: ١٩٨٣م، ص.٣٤٥؛ عبد الرحيم: ١٩٧٩م، ص.٢٤١_٢٦٠.

[٢١] بوشرب: ١٩٩٧م، ص.١٨٧؛ Serjeant: 1983, p.١٦٩.

استولى على جزيرة ميون[٢٢] وحصنها لينسحب منها ومن جزيرة كمران أيضاً بسبب انتشار المرض بين جنوده ونقص الغذاء[٢٣] وتوجه صوب عدن من جديد فحاصرها وضربها بالمدفعية قرابة نصف شهر دون جدوى، فاضطر إلى الانسحاب قاصداً الهند في ١جمادي الآخرة٩١٩م/٤أغسطس١٥١٣م، بعد أن قاد خطوات البرتغاليين إلى داخل البحر الأحمر ورسم لخلفائه خطة لغزو هذا البحر إلى أقصى شماله[٢٤].

وبالمقابل أدت هجمات البوكيرك ومحاولاته المتكررة للاستيلاء على عدن إلى تنبه السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب إلى الأطماع البرتغالية في السواحل اليمنية ودفعته إلى الاستنجاد بالمماليك في مصر سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، مقابل مساعدتهم وإعطائهم المؤن والسماح لهم بإقامة قواعد بحرية على السواحل اليمنية[٢٥]، ونظراً لإحساس المماليك بتعاظم الخطر البرتغالي على دولتهم فقد قرروا بقيادة قانصوه الغوري إرسال حملة عسكرية بحرية لمقاتلة البرتغاليين في الهند، إلا أن الظروف الاقتصادية والسياسة الصعبة للمماليك آنذاك حالت دون سرعة تجهيز هذه الحملة، وهو ما دفع السلطان الغوري إلى طلب المعونة من السلطان العثماني بايزيد الثاني[٢٦] الذي أمر بإمداد المماليك بما يلزم لتجهيز الأسطول الحربي للحملة هدية دون مقابل، مما يدل على استشعار العثمانيين لحجم الخطر البرتغالي على البلاد الإسلامية وحرصهم

---

[٢٢] ميون: جزيرة صغيرة تقدر مساحتها بحوالي ١٣كم مربع، تقع عند مدخل باب المندب وتتحكم بالجهة الجنوبية للبحر الأحمر وتقسم باب المندب إلى ممرين: أحدهما شرقي يسمى باب الإسكندر، عرضه نحو ٣كم وعمقه ٢٦م، والآخر غربي يسمى ممر ميون، يبلغ اتساعه ٢٠كم وعمقه ٣٠٠ م، وهو الممر المائي الدولي. أطلق عليها الأجانب حديثاً اسم بريم بينما عرفت قديماً بجزيرة باب المندب. انظر: ثابت: ٢٠٠٢م، ص١٠٠_١١٧؛ بورجي: ١٩٩٩م ص١٠_٣٥؛ George:1924, P145.

[٢٣] القاسمي: ١٩٩٢م، ص١٦؛ Angelo :1977, p. 79.

[٢٤] ابن الديبع: ١٩٨٣م، ص.٣٤٨؛ أباضة: ١٩٨٧م، ص.٤٢.

[٢٥] ابن شيبان: ٢٠٠٢م، ص.١٥٢؛ Sırma : 1994, s39.

[٢٦] بايزيد الثاني: هو ابن السلطان العثماني محمد الثاني(الفاتح)، ولد سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م وجلس على عرش السلطنة العثمانية سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م ليكون السلطان الثامن في تاريخ الدولة العثمانية، دخل في صراع مع أخيه الأمير جم على الحكم، تنازل عن السلطة لابنه سليم وداهمه الموت سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، كان سلطاناً أصولياً وشاعراً رقيقاً، أنجز مجموعة من القصائد التي تأثر فيها بالشعراء الصوفية. انظر: أوغلى: ١٩٩٩م، ص.٢٨_٣١؛ طقوش: ١٩٩٥مص.١٢٠_١٢٩؛ منتران: ١٩٩٣م، ص١٥١_١٦٧.

على التخلص منه[٢٧]، وفي ١٠ رجب ٩٢١هـ/٢٠ أغسطس ١٥١٥م أبحرت من السويس صوب البحر الأحمر ٢٠ سفينة عليها ٦٠٠٠ جندي[٢٨]، في حملة بحرية اشتهرت بحملة الهند، لكنها توقفت في السواحل اليمنية ودخلت في صراع مع القوى اليمنية الرئيسة آنذاك.

١_٢ الصراع بين المماليك والقوى اليمنية

لما كان الهدف البارز والمعلن للحملة المملوكية هو التوجه إلى الهند للتخلص من الخطر البرتغالي، ولما كان من المتوقع تعاون القوى اليمنية مع المماليك ومساعدتهم على تحقيق ذلك الهدف، فإن توقف تلك الحملة في السواحل اليمنية والصدام مع القوى اليمنية يدفعنا إلى التساؤل عن أسباب ذلك التوقف وذاك الصدام بقواه الرئيسة؟.

١_٢_١ أسباب توقف الحملة المملوكية في السواحل اليمنية

تذكر بعض المصادر التاريخية أن قيام السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب بطرد رسل قائد الحملة المملوكية حسين الكردي، وتراجعه عن وفائه بوعوده – التي قطعها للسلطان الغوري عند طلب النجدة ضد البرتغاليين– في مساعدة المماليك حينما وصلت حملتهم إلى جزيرة كمران قادمة من جيزان في ٧ ذي القعدة ٩٢١هـ/٣١ ديسمبر ١٥١٥م[٢٩]، هو الذي دفع المماليك إلى عدم مواصلة السير صوب الهند والتوقف في السواحل اليمنية والشروع في مهاجمتها، وأن تردد السلطان الطاهري ووقوعه تحت تأثير بعض وزرائه النافذين، فضلاً عن بخله وحبه للمال كان المحرك الأساس له في اتخاذ ذلك الموقف[٣٠].

بيد أننا إذا وضعنا الموقفين المملوكي والطاهري في سياق الظرفية التاريخية للأحداث آنذاك أمكننا الوقوف على الأسباب الجوهرية التي وقفت خلفهما؛ إذ أن الواقع الميداني الجديد المتمثل في نجاح البرتغاليين في نقل ساحة الأحداث من مياه المحيط الهندي إلى مياه البحر الأحمر كاستحقاق مهم إثر تفوقهم في معركة ديو،[٣١] دفع السلطان الغوري إلى إعادة النظر في سياسة المماليك الدفاعية وانتهاج أخرى جديدة، تستند في الأساس على اتخاذ اليمن عموماً وعدن

---

[٢٧] كانت هذه الهدية أو المساعدة العثمانية للمماليك تحتوي على مدافع وأسهم وبارود ومقاذيف من الخشب ، علاوةً على ٢٠٠٠ بحار بقيادة سلمان ريس. انظر: ابن إياس: ١٩٨٤م، ص.١٩١_٢٠١؛ منتران: ١٩٩٣م، ص.٢١٢_٢١٣؛ الحمداني: ١٩٨٥م، ص.١٤٥_١٨٦؛ العباسي: ١٩٩٧م، ص.١٠_١٦٥.

[٢٨] ابن إياس: ١٩٨٤م، ص.٣٦٥، ٣٦٦، ٤٦٦، ٤٦٧.

[٢٩] ابن الديبع: ١٩٨٣م، ص.٣٨٥؛ ابن الديبع: ٢٠٠٦م، ص.٤٦٣؛ بامخرمة:٢٠٠٣، ص.٧٧٣؛ ابن لطف الله: ٢٠٠٣م ص.٣١.

[٣٠] النهروالي: ١٩٨٦م، ص.٢٠؛ ابن لطف الله: ٢٠٠٣م، ص.٣٥؛ Serjeant: 1983, pp.48,49.

[٣١] أنبيس: ١٩٨٥م، ص.١٢٤.

خصوصاً قاعدة ارتكاز متقدمة في محاربة البرتغاليين في موقعهم الجديد بالبحر الأحمر، ومن ثم مواصلة التقدم صوب معقلهم القديم في الهند ومياه المحيط الهندي[٣٢]، وهو ما يتطلب من المماليك الاستيلاء على السواحل اليمنية بجزرها ومدنها المهمة، ويؤكد بأن توقف المماليك في سواحل اليمن لم يكن أمراً عفوياً، بدليل الاتصال والتنسيق المسبق بينهم وبين بعض القوى اليمنية المناوئة للطاهريين سواء قبل خروج الحملة من مصر أو بعد وصولها إلى اليمن[٣٣]، وكذا انتهاج العثمانيون السياسة الدفاعية نفسها بعد استيلائهم على الدولة المملوكية.

كما أن تأخر النجدة المملوكية التي طلبها السلطان الطاهري ضد البرتغاليين حين مهاجمتهم عدن كما مر معنا، وتوجس السلطان من أطماع القادة المماليك بالاستيلاء على بلاده، فضلاً عن حرصه على تفويت الفرصة على البرتغاليين وسد الذرائع أمام عودتهم لمهاجمة مراكز نفوذه سيما مع اعتقاده بضعف المماليك بعد هزيمتهم في ديو[٣٤]، كانت بمثابة الأسباب الحقيقية لامتناعه عن مساعدة المماليك ضد البرتغاليين، وما يؤيد ذلك مساعدة الطاهريين للمماليك حين تأكدوا من توجه حملتهم الأولى صوب الهند ضد البرتغاليين، كما سبق معنا، ومباشرة حسين الكردي في توسيع مجال نفوذه في اليمن بجانب حكمه للحجاز باعتباره نائب جدة من قبل المماليك، وكذا تكرار البرتغاليين إرسال حملاتهم إلى عدن للاستيلاء عليها بعد ذلك.

وأياً كانت الأسباب التي دفعت المماليك إلى البقاء في سواحل اليمن من جهة ورفض السلطان الطاهري مساعدتهم من جهة أخرى، فإن مما لاشك فيه أنها قد مثلت نقطة تحول في تاريخ اليمن مطلع القرن ١٠هـ/١٦م وأسهمت في صناعة فصل جديد من فصول تاريخها، اتسم بغلبة الصراع بين القوة الأجنبية الجديدة وبين القوى الرئيسة في الساحة اليمنية آنذاك.

١_٢_٢ الصراع مع القوة الطاهرية

اعتبر المماليك موقف السلطان الطاهري الرافض لمساعدتهم عدائياً واتخذوه ذريعة لمهاجمة السواحل اليمنية التي كانت خاضعة له، يشجعهم في ذلك عدد من القوى اليمنية التي

---

[٣٢] متولي: ٢٠٠٢م، ص.٢٣١_٢٣٢؛ أوزبران: ١٩٧٨م، ص.٨، ٤٣؛ Smith : 2002, p.288.

[٣٣] كان على رأس هذه القوى التي اتصلت بالحملة عند وصولها جزيرة كمران: قوة الأئمة الزيدية بزعامة الإمام شرف الدين الذي راسل قائد الحملة وحرضه ضد السلطان الطاهري، وكذا أمراء آل القطبي في جيزان الذين اتصلوا بالمماليك قبل قدوم الحملة وبعد وصولها اليمن، ثم أمير اللحية التهامية أبو بكر الزيلعي الذي ساند المماليك بأشياء متنوعة فضلاً عن عدد من القبائل التهامية الأخرى. انظر: ابن الديبع:٢٠٠٦، ص٤٦٣_٤٦٥؛ بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص.٧٧٥؛ النهروالي: ١٩٨٦م، ص.٢١؛ Sırma : 1994, s. 42.

[٣٤] بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص.٧٧٤.

ساندتهم بشكل جدي وقدمت لهم أشكال متنوعة من الدعم، وقد كانت البداية من السواحل الغربية حيث نزل جنود الحملة إلى جزيرة كمران واستولوا عليها في ١٥ ذي الحجة ٩٢١هـ/يناير ١٥١٦م[٣٥]، ثم اتخذوها مركزاً لاستقطاب القوى اليمنية ضد الطاهريين وقاعدة للتوغل في المناطق الساحلية، حيث تقدموا صوب الحديدة والزيدية واستولوا على مدينة زبيد في ١٩ جمادي الأولى ٩٢٢هـ/٢١ يونيو ١٥١٦م[٣٦]وحينها عين حسين الكردي الأمير برسباي حاكماً على زبيد والمناطق التهامية الساحلية على البحر الأحمر.

واصل المماليك بقيادة حسين الكردي وسلمان ريس التقدم السريع صوب السواحل الجنوبية، حيث تم الاستيلاء على زيلع[٣٧] أواخر جمادي الآخرة ٩٢٢هـ/أواخر يوليو ١٥١٦م ومنها توجه القائدان صوب مدينة عدن بغية الاستيلاء عليها والاستفادة من موقعها الاستراتيجي، وقد وصلا إليها في ١٣ رجب ٩٢٢هـ/١٢ أغسطس ١٥١٦م[٣٨]، وبالرغم من تمكن المماليك من الاستيلاء على قلعة صيرة[٣٩] فإن المدينة صمدت أمام المماليك وكبدتهم خسائر بشرية كبيرة ودفعتهم إلى الانسحاب منها بعد أسبوع فقط من وصولهم إليها، وبذلك نجح الطاهريون في الاستمرار في حكم المدينة حتى سيطر عليها العثمانيون سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

وقد قرر المماليك عقب فشلهم في الاستيلاء على عدن تعديل خطتهم والعدول عن فكرة التوجه إلى الهند وتأجيل أي نشاط حربي ضد البرتغاليين هناك، والاقتصار على حماية مدخل البحر الأحمر وتأمين خط عودتهم إلى مصر، وهذا ما حتم عليهم اتخاذ تهامة اليمن بسواحلها ومدنها الغربية خط دفاعهم الأول وقاعدة للتوغل صوب المناطق الداخلية لإقامة حكمهم في اليمن، على أن تكون جدة خط الدفاع الثاني إلى حين السيطرة على عدن[٤٠].

ويبدو أن انسحاب حسين الكردي وسلمان ريس إلى جدة وبقاء الأمير برسباي في اليمن يندرج في إطار تنفيذ هذه الخطة المعدلة، التي حاول السلطان الطاهري إفشالها من خلال

---

[٣٥] ابن الديبع: ٢٠٠٦، ص٤٦٣.

[٣٦] الحداد: ١٩٨٦م، ص.٦.

[٣٧] زيلع: أو أمالتيس حسب بطليموس، ميناء ومدينة على ساحل البحر الأحمر الأفريقي بالقرب من باب المندب، تتبع حالياً جمهورية الصومال، كانت قديماً ميناء لدولة عدل أو عدول الإسلامية، التي تحتل مكانها اليوم هرر. انظر: بلايفيير: ١٩٩٩م، ص٩٧؛ الحبيشي: ١٩٩٢م، ص١٣٠.

[٣٨] ابن الديبع:١٩٨٣م، ص٣٦٥؛ العبدلي: ١٩٨٠، ص.٩٢.

[٣٩] صيرة: جزيرة صغيرة في أعلاها جبل به قلعة حصينة، تقع شرق كريتر عدن وترتبط معها بواسطة جسر حجري يمتد وسط ميناء خليج حقات. انظر: محيرز: ١٩٩٢م، ص.٣٨_٨٨.

[٤٠] أنيس: ١٩٨٥م، ص.١٢٤.

مهاجمته للمماليك في قاعدتهم التهامية زبيد ومحاولة السيطرة عليها والتخلص من خطر المماليك على سلطته، لكنه تعرض لهزيمة قاسية على مشارف زبيد في ١٠ شوال ٩٢٢هـ/٦ نوفمبر ١٥١٦م، ثم انسحب إلى تعز ومنها إلى إب فتعقبه المماليك وسيطروا على تعز دون قتال في ٦ صفر ٩٢٣هـ/٢٨ فبراير ١٥١٧م[٤١]، وهو ما يعني توسع المماليك باتجاه المناطق الداخلية اليمنية، بينما كانت السواحل اليمنية الجنوبية حينها تتعرض للخطر من قبل البرتغاليين الذين أرسلوا حملة جديدة للاستيلاء على عدن مستفيدين من ضعف دفاعاتها التي تضررت نتيجة القصف المدفعي المملوكي لها الذي سبق وأن تعرضت له، وبالرغم من نجاح الحملة في الوصول إلى المدينة في ١٢ صفر ٩٢٣هـ/٥ مارس ١٥١٧م فإنها لم تتمكن من السيطرة عليها، بسبب استخدام حاكمها مرجان الظافري الحيلة مع قائدها، الذي توجه صوب جدة للسيطرة عليها لكن دون جدوى فعاد إلى عدن ثانية ليسيطر عليها فوجدها محصنة بشكل قوي مما اضطره إلى الانسحاب صوب هرمز[٤٢].

وفي الوقت نفسه كان المماليك منشغلين بتوسيع سيطرتهم في بقية المناطق الطاهرية الشمالية وتوطيد سيطرتهم عليها، فقد غادر برسباي تعز وتوجه صوب مدينة المقرانة في رداع التي كانت مقراً للسلطان الطاهري ومستودعاً لكنوزه وأمواله فطمع بها برسباي وقام بالاستيلاء عليها فاستدرجه أهالي أحد أحياء المقرانة وقتلوه، وخلفه اسكندر المخضرم الذي غادر المقرانة وزحف بجنوده صوب صنعاء مباشرة، وحينما حاول السلطان عامر اللحاق بهم لثنيهم عن اقتحام صنعاء هجم عليه المماليك بمن معه ونجحوا في قتله بتاريخ٢٣ ربيع الآخر ٩٢٣هـ/ ١٥ مايو ١٥١٧م ومن ثم الاستيلاء على صنعاء[٤٣] والاصطدام بقوة يمنية أخرى هي القوة الزيدية.

١_٢_٣ الصراع مع القوة الزيدية

بدأت الاتصالات بين المماليك والقوة الزيدية بزعامة الإمام شرف الدين[٤٤] فور وصول الحملة المملوكية إلى جزيرة كمران، وكانت تلك الاتصالات تهدف إلى الوقوف ضد الطاهريين،

---

[٤١] ابن الديبع: ١٩٨٣، ص.٣٦٨-٣٦٩؛ بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص.٧٧٩-٧٨٠؛ Yavuz :1984 , s . 41.

[٤٢] بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص.٧٨٣، ٧٨٤؛ الصباغ: ١٩٩٠م، ص٤٩_١٠٩؛ الشناوي: ١٩٧٦، ص. ٦٦٥؛ Kammerer : 1929, p266-269.

[٤٣] ابن الديبع:١٩٨٣م، ص.٣٦٩، ٣٧٠؛ بامخرمة:٢٠٠٣، ص.٧٨١، ٧٨٢؛ العمري: ١٩٨٩م، ص٥٠.

[٤٤] الإمام شرف الدين: هو شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى، لقب بالمتوكل على الله، ولد في رمضان سنة ٨٧٧هـ/ يناير١٤٧٢م، يعد من كبار أئمة المذهب الزيدي وله العديد من المؤلفات الفقهية منها كتاب الأثمار في فقه الأئمة الأطهار، عاصر دخول المماليك ثم العثمانيين إلى اليمن، توفي بحصن

حيث تشير المصادر التاريخية إلى إرسال الإمام شرف الدين رسالة إلى حسين الكردي يحرضه فيها ضد خصمه السلطان الظاهري والاستيلاء على المناطق التي يحكمها، بغية ضمها إلى دولته الإمامية الزيدية التي كان يسعى لإقامتها على كل أراضي اليمن، خاصةً أنه كان يعتقد بأن المماليك سيتوجهون إلى الهند لقتال البرتغاليين بعد التخلص من الطاهريين.

وحينما قرر المماليك التوقف في السواحل اليمنية والسيطرة عليها في الغرب والجنوب ثم التوغل باتجاه المناطق الداخلية الوسطى فالشمالية الجبلية، شعر الإمام شرف الدين بالخطر واستعد لمقاومة المماليك ومهاجمتهم في صنعاء، حيث رفض التوجه لمقابلتهم في صنعاء أو عقد أي اتفاق معهم، وفضل التحالف مع بقايا خصومه الطاهريين لمواجهة المماليك، فتوجه من مقره في حجة صوب مدينة ثلا الحصينة والقريبة من صنعاء وتسلمها من الوالي الطاهري الذي استنجد به وذلك في ربيع الآخر ٩٢٣هـ/مايو ١٥١٧م[٤٥].

وقد أدرك المماليك أهمية مدينة ثلا وخطورة تحركات حليفهم السابق الإمام شرف الدين بنسج التحالفات السياسية مع خصومه الطاهريين والتفاف القبائل الزيدية حوله، وقرروا مباغتته في مقره بثلا والتخلص منه قبل أن يهاجمهم، فجهزوا حملة عسكرية نجحت في الوصول إلى ثلا وحصارها، لكنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها بسبب المقاومة الشديدة من أهلها[٤٦]، وبسبب ورود الأنباء إليهم بسقوط دولتهم في مصر بيد العثمانيين، فاضطروا إلى مهادنة الإمام شرف الدين والانسحاب إلى صنعاء؛ كي يتمكنوا من تدبر أمرهم والتفكير بسياسة تتلاءم مع الأوضاع الجديدة في مصر العثمانية.

ب- انضمام اليمن للدولة العثمانية

بدأ انضمام اليمن إلى الدولة العثمانية إثر نجاح السلطان العثماني سليم الأول في الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وذلك حينما انتهج الأمير المملوكي في اليمن اسكندر سياسة القبول بالأمر الواقع والتكيف مع الوضع الجديد في مصر، حيث سارع إلى تطبيق تلك السياسة فجمع أهالي صنعاء بالجامع الكبير في ١٣جمادي الآخرة ٩٢٣هـ/٣ يوليو ١٥١٧م، وأخبرهم باستيلاء السلطان العثماني سليم الأول على مصر وأعلن بينهم ولائه لهذا

الظفير بحجة سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م. انظر: الشوكاني: ١٩٩٨م، ص.٢٧٨_٢٨٠؛ بهران: ١٩٧٤م، ص.٨؛ الوجيه: ١٩٩٩م، ص.١١٣٤_١١٣٦؛المفضل: ١٩٩٨م، ص.٤_٢٠٨؛ الأشول:٢٠٠٤م، ص.٢٧_٤١.

[٤٥] ابن لطف الله:٢٠٠٣م، ص٤٨_٤٩؛ الكبسي: ٢٠٠٥م، ص.٢١٠؛ الأشول: ٢٠٠٤م، ص٧٣؛ المروني: ١٩٩٠م ص٢٧٥.

[٤٦] ابن لطف الله:٢٠٠٣م، ص.٤٩.

السلطان واعترافه بالسيادة العثمانية وخضوعه لها[٤٧] وحينها عرف بالمخضرم لمعاصرته السيادتين المملوكية والعثمانية[٤٨]، وللتأكيد على ذلك الولاء والخضوع بعث اسكندر المخضرم- بعد عودته إلى زبيد- رسولاً من قبله بهدية كبيرة إلى السلطان سليم الأول، وقد وصل هذا الرسول إلى القاهرة في جمادي الآخرة ٩٢٤هـ/يونيو-يوليو١٥١٨م ثم توجه إلى استانبول برفقة المبعوث العثماني الذي كان قد حضر إلى مصر ليتسلم خراجها عن سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م وسلم السلطان تلك الهدية[٤٩]، وبدوره اعترف السلطان سليم الأول بالأمر الواقع في اليمن ورحب بانضمامها إلى الدولة العثمانية، دون أن يسعى للتدخل المباشر لفرض سلطته هناك، إذ أرسل أوامره - عبر بكلربك مصر خاير بك- إلى اسكندر المخضرم بتثبيته في الحكم وطلب منه إقامة الخطبة له وضرب السكة باسمه[٥٠]، فامتثل المخضرم لتلك الأوامر وبالغ في إظهار الاهتمام والترحيب بها[٥١]، وهو ما يثير التساؤل الآتي: ما هي الأسباب الحقيقية التي حدت بالمماليك إلى إعلان انضمام اليمن للدولة العثمانية؟

٢_١ أسباب انضمام اليمن للدولة العثمانية:

من خلال المعطيات المتوافرة لدينا يمكننا أن نصنف تلك الأسباب إلى داخلية وأخرى خارجية كما يأتي:

٢_١_١ أسباب داخلية: تتعلق باليمن والقوى الفاعلة التي كانت موجودة بداخلها آنذاك والفكر الذي تؤمن به، ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أ- أسباب تتعلق بالمماليك والأوضاع الصعبة التي يعيشونها في اليمن، الأمر الذي دفع أمير المماليك المخضرم إلى المسارعة في إعلان الانضمام للدولة العثمانية؛ بغية تأمين استمرار بقائه في سدة الحكم والحفاظ على مراكز نفوذ المماليك ومصالحهم في اليمن من جهة، وكذا محاولة السعي للقضاء على الانقسام والخلافات التي بدأت بالظهور بين صفوف جنود حملته أثناء حروبهم مع القوى اليمنية وبعد سماعهم بسقوط دولتهم في مصر، بما من شأنه تدعيم قوتهم في اليمن وضمان عدم تدهورها من جهةٍ

---

[٤٧] ابن لطف الله:٢٠٠٣م، ص.٥٠؛ Sırma : 1994, s. ٤٦.

[٤٨] النهروالي: ١٩٨٦م، ص.٣٣.؛ ابن فيروز: مخطوط، ص.٢٠.

[٤٩] لم تمدنا المصادر المعاصرة بمعطيات عن نوع تلك الهدية ولا عن اسم الرسول المملوكي، في الوقت الذي يذكر بعض الباحثين أنه ابن الأمير اسكندر لكن دون تسميته. انظر: ابن إياس: ١٩٨٤م، ص.٢٥٧، ٢٦٠؛ العزير: ٢٠٠٠م، ص.٤٠.

[٥٠] النهروالي: ١٩٨٦م، ص.٣٣.

[٥١] ابن داعر: مخطوطة، ص.١٦٥؛ Sırma : 1994, s. ٤٦.

ثانية[٥٢]، فضلاً عن قطع الطريق على اليمنيين عموماً وأهالي صنعاء خصوصاً من المسارعة في الانضمام للدولة العثمانية والاعتراف بسيادتها عليهم - كقوة إسلامية جديدة يمكن أن ينعموا في ظلها بالأمن والرخاء بخلاف ما حصل لهم في عهد المماليك - قبل أن يصلهم نبأ سقوط دولة المماليك في مصر، وبالتالي الحيلولة دون انقضاض اليمنيين على المماليك والانتقام منهم بسبب ممارساتهم الخاطئة التي رافقت دخولهم عدد من المدن اليمنية والتي تنوعت بين السلب والنهب وظلم الرعية من جهةٍ ثالثة[٥٣].

ب- أسباب تتعلق باليمنيين وقواهم الرئيسة آنذاك وعلى رأسها القوة الزيدية بزعامة الإمام شرف الدين الذي تمكن من التضييق على المماليك وتشكيل قوة ضاغطة عليهم من الزيدية وبقايا الطاهريين مستثمراً الأخطاء والمظالم التي مارسها المماليك بحق اليمنيين ومدنهم، وكذا التركيبة البشرية القبلية التي يغلب عليها الطابع القبلي في اليمن، وهو ما أجج المقاومة ضد المماليك ودفعهم إلى التعجيل بالانضمام للدولة العثمانية ومباشرة الانسحاب من صنعاء وجل المدن اليمنية إلى زبيد[٥٤] التي اتخذوها مركزاً رئيساً لوجودهم في اليمن؛ نظراً لبعدها عن مراكز نفوذ القوة الزيدية ولقربها من ساحل البحر الأحمر الذي سيمكنهم من تلقي الإمدادات من العثمانيين في مصر أو الحجاز إذا اقتضى الأمر ذلك.

ج- منها ما يرتبط باليمن وجغرافيتها التي تتسم ببيئة تضاريسية يغلب عليها الطابع الجبلي خاصةً في المناطق الشمالية ومناطق الهضبة الوسطى، الأمر الذي ولد الصعوبات أمام المماليك ووضع العراقيل في طريق تقدمهم هناك، بحيث بدت تلك التضاريس كقوة يمنية تقف ضد المماليك وتصد زحفهم؛ لعدم معرفتهم الكافية بها، بخلاف اليمنيين الذين استغلوا طبيعة بلادهم الجغرافية بيئةً مناسبة لاستخدام أساليب قتالية ضد المماليك أشبه بحرب العصابات، وهو ما نجم عنه تشتت المماليك واستنزاف قواهم البشرية والمادية، ويظهر ذلك جلياً حين توغل المماليك في المناطق الشمالية وقاموا

---

[٥٢] سالم: ١٩٩٩م، ص.١١٠، ١١١؛ صالحية: ١٩٨٠م، ص.٩٢..

[٥٣] حدثت تلك الممارسات حال دخول المماليك زبيد وتعز والمقرانة وصنعاء. للمزيد انظر: ابن لطف الله: ٢٠٠٣م، ص.٣٦_٥٠؛ الكبسي: ٢٠٠٥م، ص.٢٠١_٢٠٩.

[٥٤] وصل المماليك إلى زبيد في ٢٩ جمادي الآخرة ٩٢٣هـ/ ١٩ يوليو ١٥١٧م، وقد احتفظوا ببعض الحاميات الصغيرة في صنعاء وتعز والمقرانة. انظر: ابن الديبع: ١٩٨٣م، ص.٣٧١.

بمحاصرة الإمام شرف الدين في ثلا وحصنها المنيع، كما أسلفنا، وأثناء انسحابهم من صنعاء صوب زبيد عبر مناطق الهضبة الوسطى[٥٥].

د- التباين الفكري بين الزيدية (الشيعة) وبين المماليك (السنة) المستند في الأساس على الجانب المذهبي، وهو ما ولد فكراً مناهضاً للمماليك في اليمن، الهدف منه إيجاد كيان سياسي(دولة) لذلك الفكر على جل الأراضي اليمنية انطلاقاً من الشمالية الجبلية بزعامة الأئمة الزيدية الذين قاوموا المماليك ولم يعترفوا بسلطانهم؛ لإيمانهم بأن السلطة لا تحق إلا لإمام يخرج داعياً إلى نفسه، شاهراً سيفه، وهو الفكر نفسه الذي اصطدم به العثمانيون طوال تواجدهم في اليمن بعد ذلك[٥٦].

٢_١_٢ أسباب خارجية: تتعلق بالعوامل والقوى الخارجية المؤثرة على المماليك داخل اليمن ويمكن إجمالها في ما يأتي:

أ- سوء أوضاع المماليك خارج اليمن وتدهور دولتهم وسقوطها بشكل نهائي في أيدي العثمانيين بزعامة السلطان العثماني سليم الأول، إثر نجاحه في هزيمة السلطان المملوكي قانصوه الغوري وقتله في معركة مرج دابق في رجب ٩٢٢هـ/أغسطس ١٥١٦م والسيطرة على بلاد الشام وكذا تمكنه من شنق السلطان المملوكي الأخير طومان باي على باب زويلة في القاهرة والسيطرة على مصر عقب معركة الريدانية في محرم ٩٢٣هـ/يناير ١٥١٧م، فضلاً عن التخلص من عدد مهم من قادة المماليك وأمراء دولتهم البارزين[٥٧]، وهو ما أضعف موقف المماليك في اليمن وأفقدهم مركز الدعم والمساندة لاستمرار بقائهم هناك ودفعهم بالتالي إلى مسايرة الأوضاع التي مرت بها دولتهم[٥٨] والمسارعة في إعلان الانضمام إلى الدولة العثمانية.

---

[٥٥] نجحت قبائل بني حشيش والشوافي في عمل كمين للقوات المملوكية بين جبلين أثناء الانسحاب إلى زبيد، ما أدى إلى قتل عدد كبير منهم والاستيلاء على الغنائم الكثيرة التي جمعها المماليك من مدن اليمن المختلفة. انظر: ابن الديبع: ١٩٨٣م ص.٣٧١؛ سالم: ١٩٩٩م، ص.١١١.

[٥٦] الشجاع: ٢٠٠٨م، ص.٥١١.

[٥٧] ابن طولون: ١٩٩٨م؛ ص.٣١٧_٣٧٨؛ الرمال: ١٩٩٨م، ص.٧٧_٢٤٥؛ النهروالي:١٩٨٦م، ص.٢٤_٢٦؛ حليم: ٢٠٠٢م، ص.١١١_١١٧؛ أوغلى: ١٩٩٩م، ص.٣١_٣٣؛ بنحادة: ٢٠٠٨م، ص.٣٥_٣٨، ٢٩٤، ٢٩٥؛ منتران: ١٩٩٣م، ص.٢٠٨_٢١٤؛ عبد العزيز: ١٩٩٠، ص٤٤؛ صباغ: ١٩٨٢م، ص. ٧٦_٩٨؛ الحيمر: ٢٠٠٣م ص.١٢١_١٣٠؛ هريدي: ٢٠٠٠م، ص١١٥_١٤٧؛ الزيدي: ٢٠٠٣م، ص.١٤٥_١٤٨.

[٥٨] المصري: ٢٠٠٦م، ص.٢٣.

ب- القوة المتزايدة أو الصاعدة للعثمانيين ودولتهم على المستويات المادية والبشرية والمجالية خلال القرن ١٠هـ/١٦م[٥٩]، وما شكله ذلك من تحد كبير أمام المماليك في اليمن وأجبرهم على الرضوخ للأمر الواقع والتعامل معه بإيجابية، من خلال إعلانهم الانضمام للعثمانيين، تفادياً للمصير الذي حل بأسلافهم في مصر والشام، وتحاشياً للدخول في أية مواجهة عسكرية مع العثمانيين ودولتهم القوية التي فضلوا طلب الحماية من سلطانها[٦٠].

ج- عنصر السبق الذي سجله شريف مكة بركات الثاني بإعلان انضمام الحجاز للدولة العثمانية فور سقوط دولة المماليك في مصر، وذلك عبر إيفاد بعثة برئاسة ابنه وولي عهده محمد أبو نمي إلى السلطان العثماني سليم الأول فقدم له التهاني والهدايا وسلمه مفاتيح الكعبة والأمانات المقدسة[٦١]، وبدوره قرر السلطان سليم الأول تثبيت شريف مكة في حكم الحجاز[٦٢]، وهو ما يعني دخول الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة في إطار نفوذ الدولة العثمانية التي أصبحت منذ ذلك الحين المعنية بحماية تلك الأماكن، واستحق سلطانها سليم الأول لقب خادم الحرمين الشريفين[٦٣]، الأمر الذي أكسبها مركزاً دينياً مرموقاً ومدلولاً سيادياً على البلاد الإسلامية برمتها[٦٤]، وجعلها تمثل التجسيد الحي لمشروع دولة الخلافة الإسلامية بحكم قوتها وقدرتها على تحقيق ذلك وبحكم اعتبار السلطان العثماني ولي أمر المسلمين وخليفتهم، وهذا ما تم التعبير عنه بشكل خاص في المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والمسلمين[٦٥]، وقد

---

[٥٩] للمزيد عن هذا الموضوع انظر: أوغلى: ١٩٩٩م، ص٣٠_٤٨.

[٦٠] السبيطلي: ١٩٩٨م، ص.٣٥.

[٦١] من أبرز تلك الأمانات الراية الشريفة والبردة الموجودة لدى الأشراف، وهناك بعض الأمانات الأخرى التي يشير بعض المؤرخين إلى أنها كانت موجودة لدى آخر العباسيين الذي كان يحمل لقب خليفة وهو المتوكل وسلمها للسلطان سليم الأول، وهي حالياً موجودة داخل غرف بورسلانية خاصة داخل قصر توب كابي بمسمى الأمانة المقدسة. انظر: طقوش: ١٩٩٥م، ص.١٦٢؛ أورتايلي: ٢٠١٢م، ص.٢٠٠.

[٦٢] ابن داعر: مخطوط، ص.١٦٥؛ النهروالي:١٩٨٦م، ص.٢٤_٢٥؛ إيفانوف: ١٩٨٨م، ص.٧٤؛ اينالجيك:٢٠٠٢م، ص.٥٥؛ سالم: ١٩٩٩م، ص١١٥، ١١٦.

[٦٣] عزب"١٩٩٧م، ص.٧٥_٨٦.

[٦٤] Robin : 1983, p. 18.

[٦٥] عن هذا الموضوع انظر: أوغلى: ١٩٩٩م، ص. ٣٣_٣٥؛ ابن حادة: ٢٠٠٨م، ص. ٨٠_٨٥؛ أورتايلي: ٢٠١٢م، ص١١، ١٨١؛ طقوش:١٩٩٥م، ص.١٦١_١٦٣؛ ابن إياس: ١٩٨٤، ص١٣٥_١٩٠؛ النهروالي:

انعكس ذلك السبق وما ترتب عنه من دلالات رمزية ومكاسب سياسية ومعنوية لصالح العثمانيين بتأثيراته على القوة المملوكية الحاكمة في اليمن آنذاك، وحتم عليها انتهاج الأسلوب نفسه الذي سبقه إليهم جيرانهم أصحاب الممتلكات الإسلامية المقدسة، فسارعوا أيضاً إلى الانضمام للدولة العثمانية، خاصةً مع التجاور الجغرافي والارتباط المكاني والتأثير والتأثر المتبادل بين الحجاز واليمن.

د- المحاولات البرتغالية المستمرة للسيطرة على السواحل اليمنية عبر الحملات العسكرية المتتالية التي نجحت في السيطرة على جزيرة سقطرة وجزيرة كمران والتوغل في البحر الأحمر وتشكيل تهديد حقيقي على مدينة عدن ذات الموقع الإستراتيجي من خلال معاودة الهجوم عليها وحصارها عدة مرات، وكان أخطرها على المماليك تلك الحملة التي قادها لوبوسوريز والتي تتكون من ٣٠_٤٠ سفينة على متنها قرابة ٢٠٠٠ جندي، حيث وصلت إلى عدن في ١٢ صفر ٩٢٣هـ/٥ مارس ١٥١٧م[٦٦] وذلك في ظرف صعب ودقيق بالنسبة للمماليك في اليمن بعد سقوط دولتهم في مصر بأيد العثمانيين، فضلاً عن تصريح قائد الحملة لحاكم عدن مرجان الظافري بأنه جاء لمناصرته ضد المماليك، الذين أدركوا بدورهم حجم الخطر البرتغالي على مستقبل وجودهم في اليمن، وقرروا ضرورة المحافظة عليه من خلال الاحتماء بدولة إسلامية قوية قادرة على الدفاع عنهم بإعلان الانضمام للدولة العثمانية.

وهكذا يتضح لنا مما سبق وجود عدة أسباب داخلية وخارجية عجلت بانضمام اليمن إلى الدولة العثمانية لكن الدولة العثمانية لم تكتف بذلك بل باشرت في استخدام أسلوب آخر لربط اليمن بها وهو أسلوب الضم.

ج- ضم اليمن إلى الدولة العثمانية

بعد انضمام اليمن للدولة العثمانية ظل العثمانيون مدة ٣ سنوات يراقبون الوضع في اليمن عن كثب لمعرفة مدى نجاح الأسلوب الذي ارتبطت به بالدولة العثمانية من عدمه، وكانت تلك المدة أشبه بالمرحلة التجريبية لأداء المماليك الذين تم تثبيتهم في حكم اليمن باسم العثمانيين، وبعد مضي تلك المدة ارتأى العثمانيون أن ذلك الأسلوب - رغم سلميته وعدم تكليفه الدولة

ص.١١١_١١٦(نص وثيقة جواب المطهر على مرسوم القانوني)، ص.٢٠٠_٢٠٤(رسالة شريف مكة إلى المطهر)، ص.٤٢٣_٤٢٦(البراءة السلطانية لمحمد شمس الدين).

[٦٦] بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص.٧٨٣، ٧٨٤؛ ابن القاسم: ١٩٨٦م، ص.٦٦٣؛ سالم: ١٩٩٩م، ص.١١٨؛ ابن شيبان: ٢٠٠٢، ص.١٦١؛ ١٦٢.

العثمانية أية خسائر-لم يكن كافياً في تحقيق أهداف الدولة العثمانية واستراتيجيتها الدفاعية والتوسعية التي رسمتها بعد سيطرتها على مصر وتبعية الحجاز لها بما فيها من أماكن مقدسة، وأنه لابد من استخدام أسلوب آخر يضمن تحقيق تلك الأهداف ولو باستخدام القوة، وقد كان ذلك الأسلوب هو أسلوب الضم العسكري المباشر بما يحتمله من كلفة مادية وبشرية عالية، عبر تجهيز عدد من الحملات العسكرية لتطبيق ذلك الأسلوب، واستبدال القيادات والكوادر الإدارية المملوكية بأخرى عثمانية موثوق بولائها وإخلاصها للدولة العثمانية. وهو ما يثير التساؤل الآتي: ما هي الأسباب الجوهرية التي دفعت العثمانيين لضم اليمن إلى نفوذهم؟

٣_ ١ أسباب ضم العثمانيين لليمن

لم يكن استخدام العثمانيين أسلوب الضم العسكري لربط اليمن بدولتهم من قبيل العبث أو الترف بل كانت هناك عدة أسباب جوهرية دفعتهم إلى اللجوء لذلك الأسلوب، ويمكن تصنيف تلك الأسباب إلى داخلية وخارجية كما يأتي:

٣_١_١ أسباب داخلية: تتمحور حول اليمن والقوى البارزة الموجودة بداخلها آنذاك وتتمثل بالآتي:

أ- الموقع الجغرافي لليمن وما يمتلكه من أهمية بالنسبة للعثمانيين، فوقوع اليمن في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية(جنوب غرب آسيا) [٦٧] وامتداد حدودها من جنوب نجد والحجاز شمالاً إلى خليج عدن والبحر العربي والمحيط الهندي جنوباً، ومن حدود عمان والربع الخالي شرقاً إلى البحر الأحمر وباب المندب غرباً [٦٨]، وما ترتب عن هذا الموقع من الأهمية الإستراتيجية والعسكرية والاقتصادية لليمن[٦٩]، بوقوعها ضمن أكثر مناطق العالم أهمية وتوسطها التجارة البحرية وطرق المواصلات بين الشرق والغرب،

---

[٦٧] باصرة: ٢٠٠٠م، ص.١٦٧_٢١٨؛ عباس؛ السنباني: ١٩٩٩م، ص.٥؛ بلفقيه: ١٩٩٤م، ص.١٧.

[٦٨] الهمداني: ١٩٩٠م، ص.٩٠_٩٢؛ أباضة: ١٩٨٦م، ص.٢٠، ٢١؛ أباضة: ١٩٨٧م، ص.٢٣؛ مقبل: ١٩٨٧م، ص.٦٧؛ رزوق: ١٩٨٩م، ص.٨٥_٩٤. كانت هذه هي الحدود القديمة لليمن الكبرى أو الطبيعية وكانت كذلك في المرحلة موضوع الدراسة، أما حالياً فقد حصل تعديل كبير في الحد الشمالي لصالح السعودية إثر تفوقها على المملكة المتوكلية اليمنية سنة ١٥٣٥هـ/١٩٣٤م، حيث أصبحت عسير والسراة والتهائم الشمالية ونجران وجيزان وبعض الموانئ والجزر المقابلة على البحر الأحمر تابعة للسعودية، وتم النص على هذا الوضع الجديد في اتفاقية الطائف الموقعة بين الجانبين في العام نفسه، وظلت هذه الاتفاقية مثار خلاف بين الجانبين حتى تم حسم ذلك الخلاف نهائيا في اتفاقية جدة سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م بناءً على ما جاء في اتفاقية الطائف. وبالرغم من ذلك فإن هذه المناطق لا زالت تذكر ضمن النسق التاريخي في إطار الوطن الأم اليمن. انظر: باصرة: ٢٠٠٠م، ص١٩٥، ١٩٨؛ الحضرمي: ٢٠٠٢م، ص.١٩٠؛ المهنا: ١٩٩١م، ص٤٦_٤٨.

[٦٩] Sırma:1994, s. 21.

وربطها بين شبه الجزيرة العربية في آسيا وإفريقيا الشرقية وبين أوروبا وجنوب شرق آسيا[٧٠]، ومن ثم انفتاحها الكبير على العالم وتحولها إلى محطة تجارية كبرى بين شرقه وغربه[٧١]، وبامتلاكها سواحل بحرية طويلة تزيد على ٢٠٠٠كم تحتوي على عدد من الجزر والموانئ المهمة[٧٢]، كل ذلك أقنع العثمانيين بأن ضمهم لليمن وبسط سيطرتهم المباشرة عليها سيمكنهم من حماية الحدود الجنوبية للممتلكات العثمانية الجديدة في البلاد العربية وفي مقدمتها الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز؛ باعتبار اليمن خط الدفاع الأول عن تلك الأماكن براً وبحراً[٧٣]، وهو ما سيرفع من مكانة العثمانيين في العالمين العربي والإسلامي ويضمن لهم الزعامة عليهما، كما سيمكنهم من حماية مصر العثمانية ومفتاحها الجنوبي بالسيطرة على الطرف الجنوبي للبحر الأحمر عبر مضيق باب المندب وميناء عدن، وبالتالي ضمان السيطرة العثمانية على كامل البحر الأحمر الذي تتحكم مصر بطرفه الشمالي عبر السويس[٧٤]، بالإضافة إلى التحكم في البحر العربي وامتلاك موطئ قدم صالح للوثوب على السفن البرتغالية في البحار الشرقية ومنعها من الدخول فيها أو مهاجمة سواحل مصر[٧٥]، وكذا اتخاذ اليمن عموماً وعدن خصوصاً محطة بحرية أمامية لإقامة قواعد عسكرية متقدمة في المحيط الهندي ومهاجمة البرتغاليين في مياهه[٧٦]،

---

[٧٠] السبيطلي: ١٩٩٨م، ص.٨؛ العبادي: ٢٠٠٤م، ص.١٧٥_١٨٨.

[٧١] الصباري: ٢٠٠٠م، ص.٢٣.

[٧٢] من أبرز هذه الجزر جزيرة ميون(بريم) وكمران على البحر الحمر وسقطرة في المحيط الهندي والبحر العربي ومدخل البحر الأحمر، ويعد ميناء عدن من الأهمية بمكان كونه يتحكم في البحر الأحمر من جهة الجنوب عبر باب المندب والمنفذ الوحيد لليمن على البحر العربي والمحيط الهندي وهو ما دفع بعض الباحثين إلى تسمية عدن بعين اليمن وجبل طارق الشرق، بالإضافة إلى ميناء المخاء على البحر الأحمر وميناء الشحر على البحر العربي. انظر: بلفقيه: ١٩٩٤م، ص٢٠ ٢١؛ بورجي: ١٩٩٩م، ص.١٤؛ ثابت: ٢٠٠٢م، ص.١١٤؛ صالحية: ١٩٨٥م ص.١٥؛عامر:١٩٨٩م،ص.٧٩_١٠٠؛العبادي:٢٠٠٤م،ص.١٧٦؛لقمان:١٩٧٢م،ص.١٩٧٢م؛الحميري: ٢٠٠٤م،ص.١٣٠-١٥٠؛الهيصمي:٢٠٠٢م،ص.٩؛الملعسي:٢٠٠٠م،ص.١٣٧_١٤١؛ George:1924, P.14; p.52. fild: 1968,

[٧٣] أباضة: ١٩٨٧م، ص.٢١؛ العزير: ٢٠٠٣م؛ ص.٣٣؛ عامر: ١٩٨٩م، ص.٨١.

[٧٤] سالم: ٢٠٠٥م، ص.٢٥٠_٢٥٤؛ الصايدي: ١٩٨٩م، ص.٩؛ نوار: ١٩٧٣م، ص.٩٩؛ Al- Nahrawali : 2002, p.2.

[٧٥] أباضة: ١٩٨٦م، ص٢١؛ الجميل: ١٩٩٧م، ص.١٢٥؛ يحيى: ١٩٩٨م، ص.٨٣؛ ٨٤.

[٧٦] حراز: ١٩٧٠م، ص.٧٣.

واتخاذها قاعدة استراتيجية لتطويق أعدائهم الشيعة الصفويين في فارس من ناحية الجنوب ومحطة اتصال مع أجزاء العالم الإسلامي شرقاً في كل من آسيا وأفريقيا[٧٧]، علاوةً على الفوائد التجارية والاقتصادية وسهولة تأمين المواصلات والبريد الرسمي إلى ولاتهم في تلك المناطق بسرعة[٧٨].

ب- ضعف المماليك وعدم فاعلية دورهم كممثلين للدولة العثمانية في اليمن، حيث أصبحت القوة المملوكية قوة صورية فقط مقارنة بالقوى اليمنية الزيدية والطاهرية آنذاك، نتيجة انحصار وجود المماليك في المناطق الطرفية الغربية من اليمن وتحديداً زبيد وما حولها من التهائم وبعض الحاميات الضعيفة في صنعاء وتعز والمقرانة، وكذا انقسامهم فيما بينهم وتصارع قادتهم حول الاستئثار بالسلطة، وبالذات مع تعدد أصولهم ومحدودية مواردهم وإمكاناتهم الذاتية بعد انقطاع الدعم الخارجي عنهم وارتباط وجودهم في اليمن بالقوة العثمانية في مصر، مما حدا بهم إلى الصراع من أجل البقاء والتحول إلى مغامرين حربيين يعتمدون السلب والنهب في معيشتهم، وهذا ما نفر اليمنيين منهم وانعكس سلباً على العثمانيين الذين ثبتوا المماليك في حكم اليمن باسمهم[٧٩]، فضلاً عن عدم اقتناع السلطان سليم الأول واطمئنانه بصدق ولاء المماليك له وإخلاصهم للدولة العثمانية، خاصةً وأن قدومهم إلى اليمن كان تنفيذاً لتوجيهات خصمه المملوكي السلطان قانصوه الغوري[٨٠] ولاستمرارهم بذكر أمرائهم في خطبة الجمعة بعد السلطان العثماني[٨١]، وهو ما يدل على نزوعهم إلى المحافظة على استقلالهم وكيانهم الخاص باليمن ورفضهم مبدأ التسليم الكلي للعثمانيين، وهذا ما مكن العثمانيين من إدراك وهن الخيط الذي يربطهم بأتباعهم في اليمن، والشروع في ضمها إلى سيادتهم الفعلية المباشرة.

ج- تباين ميزان القوى اليمنية الرئيسة آنذاك أسهم في دفع العثمانيين إلى القيام بالضم العسكري المباشر لليمن إلى ممتلكاتهم؛ فالقوة الصاعدة للإمامة الزيدية المتمركزة في مناطق الشمال الجبلية على حساب تراجع القوة الطاهرية أمام المماليك، وضعف قوة هؤلاء الأخيرين بعد

---

(٧٧) أباضة: ١٩٨٦م، ص.٢١؛ Hugh : 1924, p.227.

(٧٨) عامر: ١٩٨٩م، ص.٨١.

(٧٩) سالم: ١٩٩٩م، ص.١٢٩_١٤٤؛ السبيطلي: ١٩٩٨م، ص٤٢، ٤٣

(٨٠) متولي: ٢٠٠٢م، ص.٢٣١_٢٣٢؛ أوزبران: ١٩٧٨م، ص.٨، ٤٣؛ Smith : 2002, p.288.

(٨١) النهروالي: ١٩٨٦م، ص٣٣.

سقوط دولتهم في مصر وما ترتب على ذلك من تمكن الإمام شرف الدين وابنه المطهر[٨٢] من ملئ الفراغ الذي خلفته تلك القوتان والاندفاع بقوة من المناطق الشمالية بعد توحيد قواها الزيدية تحت زعامتهم صوب المناطق الوسطى والجنوبية وصولاً إلى عدن جنوباً وزبيد غرباً بعد ذلك[٨٣]، في إطار تحقيق هدفهم الرامي إلى إقامة دولة الإمامة الزيدية على جل الأراضي اليمنية، محتلين بذلك مركز الصدارة في سلم القوى السياسية الموجودة في اليمن آنذاك[٨٤]، وهو ما شعر معه العثمانيون بالخطر على وجودهم الاسمي في اليمن ودفعهم إلى محاولة التصدي للقوة الزيدية والقضاء عليها بضم اليمن إلى ممتلكاتهم، وبالمقابل فإن تراجع القوة الطاهرية وتدهور ممتلكاتها واقتصارها على مدينة عدن وما حولها بفعل صراعاتها وحروبها الطويلة مع القوتين المملوكية والزيدية، أدت إلى عدم قدرتها على مواجهة البرتغاليين بحملاتهم المتكررة على عدن واضطرارها إلى مهادنتهم والرضوخ لعقد اتفاقيات معهم بشروط مجحفة، بل وإمدادهم بالمؤن والمرشدين البحريين لتحقيق أهدافهم في البحر الأحمر[٨٥] ضد الدولة العثمانية التي آل إليها إرث المماليك، الأمر الذي أقلق العثمانيين ودفعهم إلى التعجيل بالضم العسكري المباشر لليمن بهدف السيطرة عليها عموماً وعدن خصوصاً، وحرمان البرتغاليين من الاستفادة من مزاياها المتعددة.

---

[٨٢] المطهر: هو الابن الأكبر للإمام شرف الدين يحيي بن شمس الدين، ولد في رجب ٩٠٨هـ/١٥٠٣م، بحصن الظفير من بلاد حجة على الأرجح، أظهر مبكراً مهارات عسكرية وسياسية متميزة، وخاض صراعاً عنيفاً مع القوى التي كانت موجودة آنذاك في الساحة اليمنية وعلى رأسها القوة الطاهرية ثم المملوكية فالعثمانية لمدة أكثر من نصف قرن من الزمن نصفها ضد العثمانيين الذين أرسلوا عدة حملات عسكرية إلى اليمن للقضاء عليه وإنهاء مقاومته، توفي في ظروف غامضة سنة٩٨٠هـ/١٥٧٢م. انظر: الشوكاني، م.س، ص٣٠٩؛ الكوكباني: مخطوطة، ص.٢٥؛ زباره: ١٩٥٢م ص.٤٠٩؛ المخلافي: ٢٠٠٥م، ص.١٧_٢١، ٩٩؛ BlackBurn :1993, p.763.

[٨٣] ابن لطف الله: ٢٠٠٣م، ص.٤٢_١٠٧.

[٨٤] سالم: ١٩٩٩م، ص.١٣١.

[٨٥] يتضح هذا الأمر بصورة جلية من خلال الحملة البرتغالية القوية بقيادة لوبوسوريز والتي وصلت إلى عدن في صفر١٢ ٩٢٣هـ/٥ مارس ١٥١٧م، مما أضطر الأمير مرجان الظافري حاكم عدن إلى مهادنة البرتغاليين واتباع أسلوب الحيلة معهم كي يتقي شرهم ويثنيهم عن مهاجمة المدينة، حيث قابلهم وقدم لهم الضيافة وأمدهم بالمؤن وبعض المرشدين البحريين لمرافقتهم في البحر الأحمر والتوجه صوب هدفهم الجديد مدينة جدة التي حاولوا تدميرها لكنهم فشلوا بفضل قوة التحصينات التي قام بها المماليك المنضوين في إطار السيادة العثمانية. انظر: بامخرمة: ٢٠٠٣م، ص٧٨٣، ٧٨٤؛ سالم: ١٩٩٩م، ص١١٨_١٢١؛ Kammerer :1929, p.266_269.

٣_١_٢ العوامل الخارجية: وتتمثل بالقوى والمؤثرات الخارجية التي دفعت العثمانيين إلى ضم اليمن بصورة فعلية إلى دولتهم ويمكن إبرازها بالنقاط الآتية:

أ- اشتداد الخطر البرتغالي ودخوله مرحلة جديدة من مراحل تطوره في البحار الشرقية، تتمثل بالتوغل في البحر الأحمر ومهاجمة جدة وتدمير القوة العسكرية للمماليك المنضوين في إطار السيادة العثمانية، ومن ثم إغلاق البحر الأحمر والخليج العربي أمام السفن العربية بالتزامن مع الاستمرار في العمليات العسكرية الهجومية ذات الطابع التخريبي للسواحل العربية والساحل الإفريقي للبحر الأحمر[٨٦] وتشديد قبضتهم الاحتكارية على التجارة الشرقية خاصة مع تفوقهم على المماليك في مياه المحيط الهندي وتشكيل خطر حقيقي على مسلمي الهند الذين استنجدوا بالعثمانيين[٨٧]، بالإضافة إلى تكرار مهاجمة عدن للسيطرة عليها والتحكم في مفتاح البحر الأحمر الجنوبي أو ضمان تحييدها على الأقل في صراعهم مع المماليك ثم العثمانيين[٨٨]، وهو ما اتضح من خلال حملة لوبوسوريز سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م وحملة لوبر سكويرا أوائل سنة٩٢٦هـ/١٥٢٠م[٨٩]، الأمر الذي شكل خطراً كبيراً على الوجود العثماني في البلاد العربية ومصر عموماً وعلى الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة خصوصاً[٩٠]، وجعل آل عثمان يدركون بأنه لا يمكن إيقاف المد الاستعماري البرتغالي في البحر الأحمر إلا انطلاقاً من اليمن، التي يتوجب عليهم ضمها إلى سيطرتهم وتحويلها إلى قاعدة عثمانية معادية للبرتغال[٩١].

ب- بروز خطر المسيحيين في الحبشة والشيعة الصفويين في فارس من خلال تحالف تلك القوتان مع البرتغاليين، اللذين تمكنوا سنة٩٢٦هـ/١٥٢٠م من إنزال أول بعثة دبلوماسية برتغالية إلى السواحل الحبشية هدفها التحضير لعقد تحالف مسيحي مع الحبشة ضد القوى الإسلامية في البحر الأحمر وإيجاد حليف قوي للبرتغال داخل هذا البحر، وتم تبادل الخطابات بين ملوك الدولتين بما من شأنه تطوير ذلك التحالف لمحاربة المسلمين والقضاء عليهم والاستيلاء على بيت المقدس، وقيام البرتغال بإرسال الخبراء

---

[٨٦] سالم: ١٩٩٩م، ص.١١٧_١٢٢؛ . Serjeant: 1983, p.171

[٨٧] عبد المنعم: ١٩٩٤من ص.١٢٠؛ صالحية: ١٩٨٠م، ص٩٦ .

[٨٨] السبيطلي: ١٩٩٨م، ص.٣٨.

[٨٩] سالم: ١٩٩٩م، ص.١١٧_١٢٢.

[٩٠] صالحية: ١٩٨٠م، ص٩٦.

[٩١] السبيطلي: ١٩٩٨م، ص.٣٦.

والفنيين إلى الحبشة لمساعدتها في عدة مجالات وعلى رأسها صناعة الأسلحة لمحاربة جيرانها المسلمين،وهو ما كان يعني تطويق العالم العربي من ناحية الجنوب وتهديد الحرمين الشريفين – اللذين دخلا في نطاق الدولة العثمانية – تهديداً مباشراً[٩٢]، كما نجح البرتغاليون في التحالف مع الشيعة الصفويين في فارس(إيران حالياً) الذين كانوا على عداء مذهبي وسياسي مع الدولة العثمانية[٩٣]، بحيث مد البرتغاليون الشيعة الصفويين بالمعونات والمساعدات وأرسلوا إليهم العمال والفنيين ليعلموهم صناعة السفن وأدوات الحرب البحرية والمدافع الكبيرة[٩٤]، وبالتالي إضعاف العثمانيين ومشاغلتهم عن تحقيق أهدافهم التوسعية في الغرب والشرق، الأمر الذي دفع السلاطين العثمانيون إلى التفكير الجاد بضرورة ضم اليمن والانتشار في البحر الأحمر وسد ثغوره في وجه البرتغاليين وحلفائهم بما يضمن حماية الأماكن المقدسة ومصر، وكذا وضع حد لتقدم الصفويين تجاه الشام والجزيرة العربية ومن ثم توحيد العالم الإسلامي بشقيه السني والشيعي[٩٥].

ج- تنامي قوة الدولة العثمانية خلال القرن ١٠هـ/١٦م لاسيما بعد تولي السلطان سليمان القانوني عرش السلطنة والذي بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج قوتها وأقصى اتساعها[٩٦]، وما ترتب على ذلك من بدء اهتمام العثمانيين الجدي بضم اليمن إلى نفوذهم وتأمين متطلبات ذلك من النواحي المادية والبشرية والفنية بما يتناسب مع تلك القوة ومع الأهمية الإستراتيجية التي تحتلها اليمن، وكذا اقتناع العثمانيين بضرورة ضم اليمن وإخضاعها لسيطرتهم الفعلية المباشرة على غرار مصر، خاصةً وأن الدولتين تعتبران بمثابة طرفا البحر الأحمر الذي سيتمكن العثمانيين من استكمال السيطرة عليه حال قيامهم بضم اليمن إلى نفوذ دولتهم.

---

[٩٢] نجح القائد البرتغالي لوبر سكويرا في إنزال المبعوث البرتغالي دى ليما إلى ساحل ميناء مصوع ومعه المبعوث الحبشي إلى البرتغال مانيوس، وقد قام النجاشي ملك الحبشة بتوجيه خطابين إلى البرتغاليين سنة ١٥٢١م حسب بعض الباحثين، الأول كان موجه إلى الملك عمانويل وبعد وفاته وجه النجاشي خطابه الثاني إلى يوحنا الثالث ابن عمانويل. انظر: سالم: ١٩٩٩م، ص.١٢١_١٢٦؛ Kammerer :1929, p.285_286.

[٩٣] الصباغ: ١٩٩٩م، ص.٦٥_٦٧.

[٩٤] صالحية: ١٩٨٠م، ص٩٦. ؛ سالم: ١٩٩٩م، ص.١٥٥.

[٩٥] السبيطلي: ١٩٩٨م، ص.٣٦، ٣٧.

[٩٦] أوغلى: ١٩٩٩م، ص.٣٥.

وهكذا يمكننا القول مما سبق إن تلك العوامل مجتمعة داخلية وخارجية قد أسهمت وبدرجات متفاوتة في دفع العثمانيين للقيام بضم اليمن إلى دولتهم، فمتى إذاً بدأ ضم العثمانيين لليمن وكيف تم ذلك؟

٣_٢ مراحل ضم اليمن إلى الدولة العثمانية

استغرق ضم اليمن إلى الدولة العثمانية مدة زمنية طويلة تصل إلى قرن وربع من الزمن وتحديداً من سنة ١٥٢٠_١٦٣٥م، أي بين تاريخ إرسال أول حملة عسكرية عثمانية إلى اليمن وتاريخ خروج العثمانيين وانتهاء عهدهم الأول في اليمن، الذي هو محل اهتمامنا في هذا البحث، ويمكن تقسيم تلك المدة إلى مرحلتين زمنيتين سوف نشير إليهما بشكل مقتضب ومركز، كما يأتي:-

٣_٢_١ المرحلة الأولى(٩٢٦_٩٤٥هـ/١٥٢٠_١٥٣٨م)

وهي مرحلة جس النبض ومحاولة ضم السواحل اليمنية سيما الغربية منها أو التهامية، وقد استغرقت قرابة عقدين من الزمن منذ أواخر عهد السلطان سليم الأول وجزء من بدايات عهد السلطان سليمان القانوني، وفيها استخدم العثمانيون الأسلوب العسكري فقط، حيث أرسلوا حملتين عسكريتين إلى اليمن، الأولى انطلقت من جدة بقيادة سنجقها حسين الرومي سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م والثانية أبحرت من مصر بقيادة سلمان ريس وخير الدين حمزة سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م وذلك بهدف الاستيلاء على تلك السواحل التي يحكمها المماليك باسم العثمانيين وإخضاعها للسيطرة العثمانية، وجس نبض المماليك والتأكد من صدق ولائهم للعثمانيين ومدى قبولهم بالخضوع الفعلي والمباشر لسيطرتهم، وما يترتب على ذلك من استبدال القادة المماليك بشخصيات عثمانية موثوق بها لدى دولتهم، ومن ثم مواجهة البرتغاليين وإزالة خطرهم المستمر على البحر الأحمر والسواحل اليمنية واتخاذ تلك السواحل قاعدة متقدمة لمحاربة البرتغاليين في الهند[٩٧]. وباستثناء تمكن الحملتين من القضاء على بعض العناصر المملوكية المناوئة لضم العثمانيين لليمن، وإيصال رسالة إليهم تفيد بعزم العثمانيين على ضم اليمن وبسط سيطرتهم عليها ما أسهم في تسهيل مهمتهم بعد ذلك[٩٨]، فإن هاتين الحملتين لم تتمكنا من تحقيق تلك الأهداف؛ خاصةً مع عدم امتلاكهما القوة اللازمة لذلك، ونظراً لديمومة الصراعات والحروب التي نشبت بين قادتها وأمرائها والتي كانت سمة مميزة

---

[٩٧] النهروالي: ١٩٨٦م، ص.٣٤؛ البطريق: ١٩٦٩م، ص.٢٢؛ صالحية: ١٩٨٠م، ص٩١_١٢٥؛ حراز: ١٩٧٠م، ص.٧٣.

[٩٨] سالم: ١٩٩٩م، ص١٥٣.

لهذه المرحلة، الأمر الذي دفع الدولة العثمانية لإرسال حملة ثالثة قوية بدأت معها مرحلة الضم الحقيقي لليمن.

٣_٢_٢ المرحلة الثانية(٩٤٥_١٠٤٥هـ/١٥٣٨_١٦٣٥م)

وهي مرحلة ضم السواحل اليمنية وجل المناطق الداخلية، وقد امتدت قرابة قرن من الزمن عاصرها ثمانية سلاطين عثمانيين ابتداءً بسليمان الأول(القانوني) وانتهاءً بمراد الرابع[٩٩]، وقد ابتدأت هذه المرحلة بحملة عسكرية قوية خرجت من مصر سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، بقيادة سليمان باشا الخادم ونجحت في ضم السواحل اليمنية من جيزان شمالاً إلى عدن والشحر جنوباً إلى السيطرة العثمانية المباشرة، ثم مهدت لتوسيع تلك السيطرة إلى جل المناطق الداخلية لليمن فيما بعد[١٠٠]، وقد شهدت هذه المرحلة شد وجذب وحرب وسلم بين العثمانيين واليمنيين، وهو ما كبدهما خسائر كبيرة من الناحيتين البشرية والمادية، وقد استخدم الطرفان الأسلوب العسكري تارة، والدبلوماسي تارة أخرى، وأحياناً الأسلوبين معاً.

لم تسر هذه المرحلة بمنحنى صاعد وإنما بمنحنى متعرج؛ فتارةً تتسع السيطرة العثمانية لتشمل جل الأراضي اليمنية، وتارةً تتقلص وتنحصر في زبيد والمناطق الساحلية الغربية، لصالح القوى اليمنية الزيدية بزعامة الإمام شرف الدين وابنه المطهر، الذي رأى في توسع السيطرة العثمانية في اليمن وخاصةً المناطق الشمالية تهديداً حقيقياً لمشروع الدولة الزيدية التي يسعى لتحقيقها على جل أراضي اليمن، وفي سبيل ذلك أحسن المطهر بن شرف الدين استثمار جغرافية المناطق الشمالية الجبلية الوعرة بتركيبتها البشرية التي يطغى عليها الطابع القبلي والانتماء

---

[٩٩] كان هؤلاء السلاطين الثمانية هم: سليمان الأول(القانوني)(١٥٢٠_١٥٦٦م)؛ سليم الثاني(١٥٦٦_١٥٧٤م)؛ مراد الثالث(١٥٧٤_١٥٩٥م)؛ محمدالثالث(١٥٩٥_١٦٠٣م)؛أحمدالأول(١٦٠٣_١٦١٧م)؛مصطفىالأول(١٦١٧_١٦١٨،١٦١٨_١٦٢٢م)؛ عثمانالثاني (١٦١٨_١٦٢٢م)؛ مراد الرابع(١٦٢٣_١٦٤٠م). انظر: أوغلى: ١٩٩٩م، ص.٤.

[١٠٠] للإطلاع على تفاصيل أحداث هذه الحملة ونتائجها انظر: النهروالي: ١٩٨٦م، ص.٧٠_٩٥؛ أوزتونا: ١٩٨٨ ص.٣٢٧_٣٣٠؛.Uzunçarşili,:1983, pp 324-353 ;Orhonlu :1978, p. 934 ,935

للمذهب الزيدي المناهض للعثمانيين[١٠١]، كما أجاد أيضاً استغلال الأخطاء والمظالم التي مارسها عن قصد أو من غير قصد بعض الأمراء والقادة والولاة العثمانيين في اليمن، واعترفت بها الوثائق العثمانية صراحةً، وفي مقدمة تلك المظالم والأخطاء تعدي البكلربكية(الولاة)والجنود على الأهالي وظلمهم[١٠٢] من خلال الاستيلاء على مواشيهم ومنتجاتهم من الزيت والعسل بالقوة ودون ثمن، وكذا مصادرة تركات الموتى ونهب الخيول من أصحابها وبيعها في الهند، وإيذاء الأعراب(أفراد القبائل)الذين يرغبون في العيش بسلام[١٠٣].

وفي حقيقة الأمر فإن تلك المظالم والأخطاء لم تكن تمثل نهجاً رسمياً للدولة العثمانية وسلاطينها بقدر ما كانت تعبر عن تصرفات فردية، نتيجة لصعوبة ظروف اليمن السياسية والاقتصادية التي عايشها العثمانيون آنذاك، ولبعد اليمن عن مركز القرار في استانبول، وجشع وطمع بعض العثمانيين الذين مارسوا تلك الأخطاء والمظالم بحق اليمنيين، بدليل أن الأوامر السلطانية التي أرسلت لعدد من الولاة والقادة العثمانيين في اليمن، كانت تحذرهم من ظلم الأهالي

---

[١٠١] بعد نجاح حملة الخادم في ضم سواحل اليمن للدولة العثمانية ، بدأت مرحلة تثبيت السيطرة العثمانية على تلك السواحل مع محاولة توسيعها نحو الداخل(ربيع الآخر٩٤٦_رجب٩٥٢هـ/يوليو١٥٣٩_سبتمبر١٥٤٥م)، حيث تم تأسيس إيالة عثمانية في اليمن وتعيين مصطفى باشا النشار بكلربك عليها، ثم تلتها مرحلة توسع السيطرة العثمانية إلى أغلب المناطق(ذي القعدة٩٥٢_ذي الحجة٩٦١هـ/يناير١٥٤٦_نوفمبر١٥٥٤م) وقد تم ذلك على يد البكلربك أوزدمير باشا الذي لقب بفاتح اليمن الأول، لكن بعد عزله من اليمن وتعيين النشار بكلربك للمرة الثانية بدأت مرحلة تدهور السيطرة العثمانية وانحصارها في زبيد(محرم٩٦٢_صفر٩٧٦هـ/ديسمبر ١٥٥٤_١٥٦٨م)، وفيها تولى أمر اليمن مجموعة من البكلربكية الضعفاء الذين انهمكوا في جمع الأموال والثروات ولو بطرق غير مشروعة من الرعايا، وعلى رأسهم مصطفى باشا شاهين ومحمود باشا، الأمر الذي أغضب اليمنيين وأسهم في انخراطهم في مقاومة العثمانيين بزعامة المطهر ،وزاد الأمر سوءً حينما قسم العثمانيون إيالة اليمن إلى إيالتين في جمادي الآخرة ٩٧٣هـ/ديسمبر ١٥٦٥م، الأولى الشمالية الجبلية التي سميت صنعاء والمؤلفة من ١٧ سنجق عين عليها رضوان باشا، والثانية سميت اليمن والمؤلفة من ١٢ سنجق عين عليها مراد باشا. للمزيد انظر: الزريقي: مخطوطة، ص٧٧_٨٠؛ ابن فيروز: مخطوطة، ص٨_١١؛ النهروالي: ١٩٨٦م ص.٧٥_١٩٥؛ باسنجلة: ٢٠٠٧م، ص٦٥_٧٥، رسالة الإمام شرف الدين للسلطان سليمان القانوني: ضمن مخطوطة الحسن الزريقي، ص.٧٧_٨٠؛ مرسوم السلطان القانوني للمطهر(وثيقة ١/٨٩، ص.١_٣)؛ مهمة دفتري٥، ص٢٧٨ حكم٧١١؛ مهمة دفتري٥، ص.٦٠٧، حكم١٦٨٦؛ مهمة دفتري٥، ص.٦٢٩، حكم١٧٥٦؛عامر: ١٩٩١م، ص٣٧١؛ BlackBurn : 1995, p. 240, 241 . BlackBurn : 1993, p. 722 ;

[١٠٢] مهمة دفتري٧، ص١١، حكم٤٤.

[١٠٣] مهمة دفتري٧، ص٢٢٠، ٢٢١، حكم٦١١.

أو التعدي على ممتلكاتهم ومواشيهم أو أخذ مأكولاتهم بالمجان[١٠٤]، وتطالبهم بدفع ثمن كل ما يأخذوه منهم ومعاقبة من يخالف ذلك[١٠٥]، كما أكدت على ضرورة العدل وتطبيق الشرع الشريف، والسهر على أمن الرعايا والبرايا ورفاهيتهم، وحسن معاملة العربان والحذر من كل ما قد يسبب الاضطراب والثورة[١٠٦]، فضلاً عن الاهتمام بمصلحة البلاد والعباد والقيام بأمر رعاية الدين والدولة[١٠٧]، والاهتمام بأمر محمل الحج اليمني وحمايته وإعطاء الحجاج المال اللازم وعدم فرض ضرائب عليهم[١٠٨].

وعلى أية حال، فقد اضطرت الدولة العثمانية سنة ٩٧٦هـ/١٥٦٨م إلى إرسال حملة قوية لاستعادة سيطرتها على اليمن بقيادة سنان باشا، الذي نجح في تحقيق ذلك وإعادة ضم جل الأراضي اليمنية إلى الدولة العثمانية من جديد وبسط سيطرة العثمانيين المباشرة عليها، الأمر الذي مهد لاستمرار تلك السيطرة حتى خروج العثمانيين من اليمن وانتهاء عهدهم الأول فيها سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م، نتيجة المقاومة التي تزعمها الأئمة الزيدية من آل القاسم بزعامة الإمام القاسم بن محمد[١٠٩]، وهو خارج اهتمامنا في هذا البحث.

الخاتمة

تأسيساً على كل ما سبق خلال هذا البحث يمكننا الخروج بالاستنتاجات الآتية:

- أثبت البحث أن أوضاع اليمن السياسية قبيل الانضمام إلى الدولة العثمانية كان لها دور مهم في قدوم المماليك إلى اليمن وقيامهم بإعلان انضمامها إلى الدولة العثمانية، والاعتراف بسيادتها بطريقة سلمية وبشكل غير مباشر، وهو ما جعل من السيادة العثمانية على اليمن سيادة اسمية فقط يمثلها المماليك ويحكمون اليمن باسم العثمانيين، كما أثبت بأن ذلك الانضمام كان على غرار ما فعله شريف مكة وأنه لم يكن إقراراً ضمنياً بضعف المماليك وعجزهم، بقدر ما كان تجسيداً للحكمة والدهاء، خاصةً وأنه اشتمل على مكاسب إيجابية تحفظ للمماليك وجودهم وتحمي اليمن من الخراب والدمار، وهذا ما ينطبق على العثمانيين حين وافقوا على تثبيت المماليك في حكم اليمن باسمهم ومد نفوذهم إلى رقعة جغرافية مهمة بالنسبة لحماية الأماكن المقدسة دون خسائر تذكر، ناهيك عن توفير

---

[١٠٤] مهمة دفتري ٧، ص٢١٧، حكم٦٠٣.

[١٠٥] مهمة دفتري٧، ص٢٢٠، ٢٢١، حكم٦١١.

[١٠٦] مهمة دفتري١٤، ص١٥٧٨، حكم١٠٢٦.

[١٠٧] مهمة دفتري٥، ص٢٧٨، حكم٧١١.

[١٠٨] مهمة دفتري٦٦، دون صفحة، حكم١٣٧.

[١٠٩] سالم: ١٩٩٩م، ص٣٥٤_٤٤٥.

جهودهم وإمكاناتهم واستغلالها في تثبيت حكمهم في مصر، ما يدل على اضطرار المماليك لإعلان الانضمام واحتياج العثمانيين لذلك من باب التعامل مع الأمر الواقع وكسب الوقت لتجاوز ظروف معينة.

- دلل البحث على اقتناع العثمانيين بعدم جدوى أسلوب الانضمام في تحقيق إستراتيجيتهم الدفاعية والتوسعية آنذاك وأنه كان بمثابة مرحلة تجريبية استمرت ٣ سنوات فقط، ومهدت للانتقال إلى أسلوب الضم وتطبيقه في اليمن كخيار وحيد وحاسم، يضمن السيطرة الفعلية والمباشرة عليها بأدوات وعناصر عثمانية خالصة، خاصةً بعد أن تبين عدم صدق المماليك في ولائهم للعثمانيين واحتفاظهم بكيانهم الخاص المستقل في اليمن، الأمر الذي أضعف نفوذ العثمانيين وجعله شكلياً ليس إلا، كما دلل على أن تطبيق أسلوب الضم في اليمن كان على غرار مصر وتم تطبيقه على مرحلتين، الأولى خصصت لضم السواحل اليمنية والقضاء على العناصر المملوكية المتمردة، وهو ما لم يتحقق طوال قرابة عقدين من الزمن رغم طغيان الأسلوب العسكري المعزز بصراع المصالح والإرادات بين أقطاب المماليك، ومع ذلك مهدت للمرحلة الثانية التي نجح فيها العثمانيون بضم اليمن لمدة تقارب قرن من الزمن مستخدمين الأسلوب العسكري والدبلوماسي.
- برهن البحث على النتائج الإيجابية لأسلوب الضم سواء بالنسبة للعثمانيين الذين استفادوا من موقع اليمن في حماية مصر والأماكن المقدسة في الحجاز وكسر احتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية، أو اليمنيين الذين تخلصوا من خطر البرتغاليين على سواحلهم واقتصاد بلادهم، ومن الانقسام والصراع الداخلي وتوحدوا ضمن ولاية عثمانية واحدة، كما برهن بأن وجود بعض الانعكاسات السلبية لهذا الأسلوب على اليمنيين والمرتبطة بالمظالم والممارسات الخاطئة من قبل بعض المسئولين العثمانيين وجنودهم، كانت تصرفات فردية فقط ولم تكن تمثل نهجاً رسمياً للدولة العثمانية التي حرص سلاطينها على سيادة العدل بين الرعية وتحقيق مصالحهم ومطامحهم، وأبان البحث بأن تزعم الأئمة الزيدية لمقاومة العثمانيين لم يكن بفعل تلك السلبيات الفردية بقدر ما كان تحقيقاً لأغراض سياسية بالدرجة الأولى؛ لضمان تنفيذ مشروعهم السياسي في قيام دولة زيدية على جل أراضي اليمن، بدليل قبولهم الأسلوب الدبلوماسي مع العثمانيين حال ضمان مصالحهم ونفوذهم.

المصادر والمراجع(البيبليوغرافيا)

أولاً_ الوثائق

وثائق باللغة العثمانية[١١٠]

١- مهمة دفتري٦٦، دون صفحة، حكم١٣٧(٢٥ شوال ٩٦٩هـ/٨٢ يونيو ١٥٦٢م).

٢- مهمة دفتري٥، ص٢٧٨، حكم٧١١(٥ جمادي الآخرة ٩٧٣هـ/٢٨ ديسمبر ١٥٦٥م).

٣- مهمة دفتري٥، ص٦٠٧، حكم١٦٨٦(٤ ذي القعدة ٩٧٣هـ/٢٤ مايو ١٥٦٦م).

٤- مهمة دفتري٥، ص٦٢٩، حكم ١٧٥٦(١٢ ذي القعدة ٩٧٣هـ/١ يونيو ١٥٦٦م).

٥-مهمة دفتري٧، ص١١، حكم٤٤.(غرة صفر٩٧٥هـ/٧ أغسطس ١٥٦٧م).

٦- مهمة دفتري٧، ص٢٢٠، ٢٢١، حكم٦١١(٢٩ جمادي الآخرة٩٧٥هـ/٣١ ديسمبر ١٥٦٧م).

٧- مهمة دفتري ٧، ص٢١٧، حكم٦٠٣(٢٩ جمادي الآخرة ٩٧٥هـ/٣١ ديسمبر ١٥٦٧م).

٨- مهمة دفتري١٤، ص١٥٧٨، حكم١٠٢٦(٢٢ ذي الحجة ٩٧٨هـ/١٦ مايو ١٥٧١).

وثائق باللغة العربية

١- رسالة الإمام شرف الدين إلى السلطان سليمان القانوني، بتاريخ ١٧ شوال ٩٤٧هـ/١٦ فبراير ١٥٤١م، أوردها الحسن الزريقي، ضمن: مخطوطة سيرة الإمام المتوكل على الله يحي شرف الدين ص.٧٧_٨٠.

٢ - مرسوم السلطان سليمان القانوني إلى المطهر بن شرف الدين، بتاريخ ١٠ شوال ٩٥٧هـ/٢٣ أكتوبر ١٥٥٠م، وثيقة محفوظ بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء، تحت رقم١/٨٩(نقلاً عن أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول)، ص.١_٣.

٣- رسالة المطهر بن شرف الدين الجوابية على مرسوم السلطان سليمان القانوني في رجب ٩٥٨هـ/يوليو ١٥٥١م، أوردها النهروالي، ضمن: كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني ص.١١١_١١٦.

٤ - رسالة شريف مكة حسن بن أبي نمي إلى المطهر بن شرف الدين بطلب من لالا مصطفى باشا بتاريخ ١١ رمضان ٩٧٥هـ/٩ مارس ١٥٦٨م، أوردها النهروالي، ضمن: كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني، ص.٢٠٠_٢٠٤.

[١١٠] سلسلة الدفاتر المهمة، أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، منها نسخة مصورة بالمركز الوطني للوثائق، صنعاء.

٥ - البراءة السلطانية التي كتبها سنان باشا لمحمد بن شمس الدين بشأن الصلح بينهما، بتاريخ ١٠ ذي الحجة ٩٧٧هـ/١٦ مايو ١٥٧٠م، أوردها النهروالي، ضمن: كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني ص.٤٢٣_٤٢٦.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية

المصادر المخطوطة

١ - ابن داعر، عبد الله (ت١٠٠٧هـ/١٥٩٨م)، الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية، مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة، تحت رقم٢٦٤٢١، ج١.

٢ - الزريقي، الحسن(ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م)، سيرة الإمام المتوكل على الله يحي شرف الدين، مخطوطة محفوظة في الأصل بمكتبة آل الهاشمي في صعدة، منها نسخة محملة على قرص مدمج محفوظ بمؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء(وهي التي اعتمدنا عليها).

٣- ابن فيروز، أحمد (ت بعد سنة ٩٧٢هـ/١٥٦٥م)، مطالع النيران في تاريخ اليمن، مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية، دار الكتب، القاهرة، تحت رقم١٦٧.

٤-الكوكباني، الحسن(ت١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، المواهب السنية مما من الله من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية، ج١، مخطوطة محفوظة بدار المخطوطات، الجامع الكبير، صنعاء، تحت رقم ٢٦٢٦.

المصادر المطبوعة

١- ابن إياس، محمد(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ج٤ ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

٢- باسنجلة، عبد الله(ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٧م.

٣- بافقيه، محمد(١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٩٩٩م.

٤- بامخرمة، محمد (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٣، دراسة وتحقيق محمد يسلم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م.

٥- بهران، محمد(ت.غ)، ابتسام البرق، شرح القصص الحق في سيرة خير الخلق، تحقيق يحي الفضيل دار الكتب، صنعاء، ط١، ١٩٧٤م.

٦- ابن الديبع، عبد الرحمن(٩٤٤هـ/١٥٣٧م)، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٦م.

٧- ابن الديبع، عبد الرحمن(٩٤٤هـ/١٥٣٧م)، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد صالحية، منشورات كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٣م.

٨- الرمال، ابن زنبل(ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م)، آخرة المماليك، أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.
٩- الشوكاني، محمد(ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين العمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
١٠- ابن طولون، شمس الدين(ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
١١- العباسي، عبد الرحيم(ت٩٦٣هـ/١٥٥٦م)، منح رب البرية في فتح رودس الأبية، دراسة وتحقيق فيصل الكندري، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ١٨، الرسالة ١٢٢، ١٩٩٧م ص١٠_١٦٥.
١٢- الغزي، نجم الدين (ت١٠٦١هـ١٦٥٠م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، ج١، ٢، د.د، بيروت، د.ط، ١٩٤٥م.
١٣- ابن القاسم، يحيى(ت١١٠٠هـ/١٦٨٨م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م.
١٤- الكبسي، محمد(ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٥م.
١٥- ابن لطف الله، عيسى(ت١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.
١٦- المعبري، زين الدين(ت بعد٩٩١هـ/١٥٨٣م)، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق أمين الطيبي، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٨٧م.
١٧- المفضل، جمال الدين(ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، نشرت بعناية عبد الملك الطيب، باكستان، ط١، ١٩٩٨م.
١٨- النهروالي، قطب الدين(ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م)، البرق اليماني في الفتح العثماني، تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر، تحقيق حمد الجاسر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

المراجع

١- أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي(١٥١٤_١٩١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة د.ط، ١٩٨٥م.
٢- أورتايلي: إيلبير، إعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٣- أوزبران، صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي(١٥٣٤_١٥٨١)، ترجمة عبد الجبار ناجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٩٧٨م.
٤- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ج١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط١، ١٩٨٨م.
٥- أوغلى، أكمل الدين(إشراف وتقديم)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، د.ط، ١٩٩٩م.
٦- إيڤانوف، نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية(١٥١٦_١٥٧٤)، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٧- اينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٨- البار، محمد، سقطرى، الجزيرة السحرية عبر التاريخ، العصر الحديث، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٩- البطريق، عبد الحميد، من تاريخ اليمن الحديث (١٥١٧_١٨٤٠)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٦٩م.
١٠- بلايفير، أف، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد النوبان؛ علي باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م.
١١- بوشرب، أحمد، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٩٧م.
١٢- التازي، عبد الهادي، ابن ماجد والبرتغال، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط٣، ٢٠٠٥م.
١٣- جرادات، وليد، الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة ط١، ١٩٨٦م.
١٤- الحبيشي، حسين، اليمن والبحر الأحمر، الموضع والموقع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١ ١٩٩٢م.
١٥- حليم، إبراهيم، الدولة العلية العثمانية، المسمى التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، عالم الكتب بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٦- حنظل، فالح، العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٧م.
١٧- زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، أئمة اليمن، ج١، مطبعة النصر، تعز، ط١، ١٩٥٢.
١٨- الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر المملوكي، دار أسامة، عمان، د.ط، ٢٠٠٣م.
١٩- سالم، سيد، الفتح العثماني الأول لليمن(١٥٣٨_١٦٣٥م)، دار الأمين، القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م.
٢٠- سالم، سيد، المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول(١٥٣٨_١٦٣٥م)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط١، ١٩٧١م.
٢١- السبيطلي، محمد، الصراع الدولي في البحر الأحمر، الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، دار الشوكاني، صنعاء، ط١، ١٩٩٨م.

٢٢- السلمان، محمد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين ١٥٠٧_١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٣- الشجاع: عبد الرحمن، من ملامح الوجه الحضاري لليمن، الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٤- شرف، علي حميد، الجزر والفنارات اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي صنعاء، د.ط، ٢٠٠١م.
٢٥- الشناوي، عبد العزيز، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ج٢، د.د الدوحة، د.ط، ١٩٧٦م.
٢٦- شهاب، حسن، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ط١، ١٩٨٨م.
٢٧- شهاب، قصي، أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٤.
٢٨- ابن شيبان، أحمد، الوجود المملوكي في اليمن(١٥١٥_١٥٣٨م)، دار جامعة عدن، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٩- الشيخ، رأفت، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة د.ط، ١٩٩٤م.
٣٠- الصباغ، عباس، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٣١ – صباغ، ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، ط١، ١٩٨٢م.
٣٢ – طقوش، محمد، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار بيروت المحروسة بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٣٣- عبد العال، محمد، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليها، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٠.
٣٤-عبد العال، محمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما(٦٢٨_٩٢٣هـ/١٢٣١_١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، د.ط ١٩٨٠م.
٣٥- عبد العزيز، عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت د.ط، ١٩٩٠م.
٣٦- العبدلي، أحمد، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م ص٩٢.
٣٧- العمري، حسين، الأمراء العبيد والمماليك في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
٣٨- قاسم، جمال، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٣٩- القاسمي، سلطان بن محمد، الاحتلال البريطاني لعدن١٨٣٩م، دار الغرير، الشارقة، ط٢ ١٩٩٢م.
٤٠- لقمان، حمزة، تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وفيليب الجميل، بيروت، د.ط، ١٩٧٢.
٤١- محمد، آمال، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م.
٤٢- محيرز، عبد الله أحمد، صيرة، أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية، مطبعة جامعة عدن، ط١، ١٩٩٢م.
٤٣- متولي، أحمد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٤٤- منتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج١، دار الفكر، القاهرة، ط١ ١٩٩٣م.
٤٥- هريدي، صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث(٩٢٣_١٢١٣هـ/١٥١٧_١٧٩٨م)، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٦- الوجيه، عبد السلام، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م.

المقالات والدوريات

١- باصرة، صالح علي، "قراءة سريعة للتاريخ المشترك في حياة منطقة الخليج العربي واليمن"، سبأ جامعة عدن، العدد ١٠_١١، ٢٠٠٢م، ص١٥٧_١٨٢.
٢- بورجي، عبد الله علي، "الجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن"، قضايا خليجية المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، رأس الخيمة، العدد٤، ١٩٩٩م، ص١٠_٣٥.
٣- ثابت، عبد الرقيب سعيد، "الجزر اليمنية في البحر الأحمر"، مجلة كلية الآداب، جامعة عدن، العدد١ ٢٠٠٢م، ص١٠٠_١١٧.
٤- الحمداني، طارق، "علاقات المماليك المصريين السياسية بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع القرن السادس عشر"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية،جامعة الكويت، العدد١٧، ١٩٨٥م، ص١٥٤_١٦٨.
٥- الحمداني، طارق، "الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، ضمن: أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، ج١، الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ٢٩_٣١ أغسطس١٩٨٧م، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ص٢١٧_٢٣٤.
٦- الحميري، أمل، "جزيرة سقطرى عبر التاريخ"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد١٨ ٢٠٠٤م، ص١٣٠_١٥٠.
٧- حنظل، فالح، "الأطماع البرتغالية في المقدسات الإسلامية والمعجزة الربانية في صدهم كما وردت في الوثائق البرتغالية"، ضمن: أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، ج١، الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، ٢٩_٣١ أغسطس ١٩٨٧م، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ص١٣١_١٤٣.
٨- الحيمر، محمد، "صورة السلطان سليم الأول وقوته العسكرية من خلال كتاب بدائع الزهور لابن إياس"، ضمن: العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة، عبد الرحمن المودن؛ عبد الرحيم بن

حادة(تنسيق)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٠٩)، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٢١_١٣٠.

٩- داوود، محمد؛ ابن بريك،أحمد، "المزية النضالية للشعب اليمني في العصر الحديث"، سبأ، جامعة عدن، العدد١٣، ٢٠٠٤م، ص٢٤٥_٢٧١.

١٠- سالم، سيد، "أثر البحر الأحمر في العلاقات المصرية اليمنية"، ضمن: حسين عبد الله العمري بحوث ومقالات مهداة إليه، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٤٩_٢٦٤.

١١- صالحية، محمد، "التدخل العثماني في اليمن"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد٢٤، ١٩٨٠م، ص٩١_١٢٥.

١٢ – الصباغ، ليلى، "الغزو البرتغالي للبلاد العربية وموقف الدولة العثمانية منه في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي"، ضمن: ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي،من سقوط بغداد إلى نهاية الاستعمار البرتغالي(٦٥٦_١٠٦٤هـ/١٢٥٨_١٦٥٠م)،جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ٢٦_٢٨ فبراير ١٩٩٠م، ص٤٩_١٠٩.

١٣- عامر، محمود علي، "قافلة الحج اليمني خلال العهد العثماني"، مجلة كلية الآداب، صنعاء العدد١٣، ١٩٩١م، ص٣٥٥_٣٧٩.

١٤ – العباسي، عبد الرحيم(ت٩٦٣هـ/١٥٥٦م)، منح رب البرية في فتح رودس الأبية، دراسة وتحقيق فيصل عبد الله الكندري، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ١٨، الرسالة ١٢٢ ١٩٩٧م، ص١٠_١٦٥.

١٥- عبد الرحيم، عبد الرحيم، "النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني(١٥١٧_١٧٩٨)"، ضمن: أبحاث الأسبوع العلمي الثالث: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة،١٥ مارس ١٩٧٩م، أحمد عزت عبد الكريم(إشراف)، جامعة عين شمس، القاهرة ص٢٤١_٢٦٠.

١٦- عزب، خالد، "لقب خادم الحرمين الشريفين"، الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العدد٣٦، ١٩٩٧م ص٧٥_٨٦.

١٧- العمري، حسين عبد الله، "كمران"، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١ ١٩٩٢م، ص٧٨٩.

١٨- كاظم، بشير حمود، "حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها"، ضمن: أبحاث ندوة رأس الخيمة، ج١ الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، ٢٩_٣١ أغسطس ١٩٨٧م، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ص١٢١_١٢٩.

١٩- الكندري، فيصل، "رسالة السلطان سليمان القانوني إلى حاكم البحرين"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد٢٧، ١٩٩٥م، ص٨١_١٠٦.

٢٠- الكيالي، محمد، "الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، ضمن: أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، ج١، الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، ٢٩_٣١ أغسطس ١٩٨٧م، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ص١٠٥_١٢٠.

٢١- موسى، محمد، "الهجوم البرتغالي على عدن، قراءة من خلال مذكرات الفونسو البوكرك"، اليمن مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، العدد٢٣، ٢٠٠٦م، ص١١٧_١٤٢.

الرسائل الجامعية

٢٢- الأشول، محمد فيصل عبد العزيز، الإمام شرف الدين ودوره السياسي في اليمن(٩١٢_٩٦٥هـ) رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٤_٢٠٠٥م.

٢٣- بامخرمة، محمد(ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٣، دراسة وتحقيق محمد يسلم عبد النور، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م.

٢٤- الصباري، عبد السلام، الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي، من الفتح حتى منتصف القرن٥هـ/١١م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة(الماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، جامعة المولى إسماعيل، ٢٠٠٠م.

٢٥- الفسيل، سامية محمد، الغزو البرتغالي للبحار العربية والمحيط الهندي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، بحث تمهيدي ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٦- المخلافي، عبد القوي، الإمام المطهر بن شرف الدين ودوره السياسي في تاريخ اليمن(٩٢٤_٩٨٠هـ/١٥١٨_١٥٧٢م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٥م.

ثالثاً- المصادر والمراجع الأجنبية

- OUVRAGES :

- ANGELO, Besce, Jiddah Portrait of an Arabian City, S.E, Italy. 1977.
- AL- NAHRAWALI, Kutb al- Din, Lightning over Yemen, Ahistory of the Ottoman Campaign (1569-71),Translation by Clive K. Smith, I.B. Tauris Publishers, London, 2002.
- GEORGE. B, A historical Gogrophy of British Empire, seven Edition, London, 1924.
- FILD, Water, Sultans of Aden, Jon Murray, London, 1968.
- HUGH, Scott, in th High Yemen, Murray, London, 1924.
- KAMMERER, Albert, La mer rouge, l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité, tome1, II, S.E, Le Caire, 1929.
- Robin, Bidwell, The Two Yemens, Longman westview Press, U.S.A, first published, 1983.

- SERJEANT, R. P., The portuguese off The South Arabian Coast, hadrami chronicles with Yemeni and Europen accounts of dutch pirates off mocha in 17 the Century, Clarendan press, oxford, 1983.
- SIRMA, İhsan Süreyya, Osmanlı devletinin yıkılışında yemen isyanları, S.E, Istanbul, 1994.
- SMITH,Glive. K. Kawkaban, The Key to Sinàn Pasha's Campaign in the Yemen (March 1569- March 1571), Proceedings of the Seminar for Arabian Studies,volume32, S.E, Edinburgh, 2002.
- UZUNÇARŞILI, Ismail Haki, Osmanli tarihi, II. Cild, Türk Tarih kurumu Basimevi, Ankara, 1983.
- YAVUZ, Hulûsi , Yemen'de osmanlı hakimiyeti (1517-1571), S.E, Istanbul, 1984.

➢ ENCYCLOPEDIES:

- BlACKBURN, J. R. ,"AL_ Mutahar", Encyclopédi de l'Isl am, Tome VII, E.J. Brill, Leiden, 1993, p.763.
- BlACKBURN, J. R, "Mustafa Pasha AL_ Nashar", Encyclopédie de l'Islam, Tome VII, E.J. Brill, Leiden, 1993, p 722.
- BlACKBURN, J. R. , "Özdemır Pasha", Encyclopédie de l'Islam, Tom VIII, E.J. Brill, Leiden, 1995, p.240,241.
- ORHONLU, C. ,"Khadim Sülyman Pasha", Encyclopédie de l'Islam, Tom IV, E.J Brill, Leiden,1978, p934, 935.